فرح

العدد 94 **كانون الثاني 2025**

رابطة أصدقاء كمال جنبلاط

المحتوى

- ملح الارض: ديمقراطية الصوت الواحد... ديكتاتورية مقنعة!!! - عباس خلف
- مع الاحداث: 1701 + بلاس، مكيدة إسرائيلية أمريكية جديدة للبنان - سعيد الغز
- مقال سياسي: اللبنانيون أخفقوا في حكم أنفسهم... ما العمل؟ - د. عصام نعمان
- مقال سياسي: لبنان المُفِيد – الوزير والنقيب السابق د. رشيد درباس
- مقال اقتصادي: الآثار المترتبة على سياسات الرئيس ترامب للطاقة – د. وليد خدوري

- دراسات وتحليلات:
  - المنطقة العربية وتلازم المسارين: الاستعماري والصهيوني - د. عائدة خداج ابي فراج
  - ورقة «الأقليات» في سوريا... ما لها وما عليها - إياد أبو شقرا – جريدة الشرق الاوسط 2025/1/5
  - في أي إقليم ملتهب نعيش؟ - إبراهيم عوض - جريدة الشروق – 2025/1/4

- نافذة على فكر كمال جنبلاط:
- مواقف وأراء:
- القضية قضية موت أو حياة
- أقولها لكم بكل صراحة
-من أقواله:
-من نحن؟
- مستقبل الإشتراكية في لبنان
-مطالب مشاريع إصلاحية: مشروع تعزيز الأخلاق العامة

- **علوم وتكنولوجيا: الاستثمار في التعليم الإلكترونيّ يشهد تراجعاً حادّاً مع صعود الذكاء الاصطناعيّ – جريدة النهار – 2025/1/1**

- **صحة وغذاء: الوجبات السريعة والسمنة: طريق مختصر للاكتئاب! – جريدة الجمهورية – 2025/1/4**

- **اخبار الرابطة**

- **من الصحافة اخترنا لكم:**

- **إيران بين «طوفان» السنوار و«طوفان» الشرع – غسان شربل – جريدة الشرق الاوسط – 2025/1/6**

- **الديمقراطية الغربية تحت معاول «السوشيال ميديا» - د. ياسر عبد العزيز – جريدة الشرق الاوسط – 2025/1/6**

- **التغول الإسرائيلي والمعادلات الجـديدة في الشرق الأوسط - أيمن النحراوي- جريدة الشروق – 2024/12/29**

- **لبنان يسير نحو السيادة الموعودة - ديفيد شينكر – جريدة الشرق الاوسط – 2025/1/8**

ملاحظة: المقالات والدراسات التي تنشر في "فرح" تعبّر عن آراء كاتبيها

- ملح الارض: ديمقراطية الصوت الواحد... ديكتاتورية مقنعة!!! - عباس خلف

عن المعلم كمال جنبلاط ننقل مفهومه للديمقراطية الصحيحة: "الديمقراطية نظام عقلاني وإنساني يرتكز إلى احترام حقوق الإنسان وتقدير واجباته وهو انتصار بحد ذاته لمبادئ المساواة والعدالة والأخوة البشرية والكرامة الشخصية وتحقيق عملي لهذه المبادئ .

"هذا النظام العقلاني والإنساني يتحقق عمليا بتوفر دساتير وقوانين وإدارات حكم وعلاقات معينة تربط المواطن بهذه الإدارة وبهذا الحكم لأن الديمقراطية الصحيحة واجب والتزام بالنسبة للحاكم والإدارة كما هو واجب والتزام بالنسبة للمواطن وفي تلاقي ذلك تنمو وتتحقق هذه الديمقراطية."

(المرجع: من مقال له نشرته جريدة الأنباء في 1963/10/15 ورد في الصفحة 257 من كتابه "من أجل المستقبل")

هذه هي الديمقراطية الصحيحة من حيث المبادئ. فما الذي نشهده في عالم اليوم؟

في عالم اليوم، الديمقراطية في محنة كبرى وفي تراجع خطير. ففي العديد من الدول، سواء في عالم الشمال المتقدم والقادر، أم في عالم الجنوب النامي والمتعثر، تبرز تناقضات كبيرة في مفاهيم الديمقراطية. الجميع يبشر بالديمقراطية، ولكن الكثيرين من قادة الدول يمارسون فعلا الديكتاتورية المقنعة تحت ستار ديمقراطية الصوت الواحد. صوت الحاكم بأمره الذي يحتكر حق القرار والأمر والنهي ويمنع على الجميع حرية الرأي والتعبير. وهو بذلك ، لا يأخذ في الاعتبار أياً من المبادئ التي تقوم عليها الديمقراطية الصحيحة. هكذا حكام يتصرفون على أساس أنهم وحدهم يملكون الحقيقة وحرية التصرف. وعلى هذا الأساس، يتجاوزون الدساتير والقوانين ويزوّرون الإرادة الشعبية بانتخابات مفصلة على قياس مصالحهم وبقائهم في السلطة. يقمعون كل رأي أو تصرف مخالف لرؤيتهم وقرارهم، يعتقلونهم، ينكّلون بهم، يرمونهم في السجون والمعتقلات دون محاكمات عادلة لأنهم يسخرون القضاء لخدمة مصالحهم من خلال محاكمات صورية، يطلقون يد أجهزة مخابراتهم في الملاحقة والاعتقال والتعذيب والقتل وأحياناً الاغتيال. المهم بالنسبة لهكذا حكام البقاء في السلطة لأن البلد ملكاً لهم وإلى الأبد. خلافاً لمبدأ تداول السلطة الذي تقوم عليه الديمقراطية. ممارسات هؤلاء الحكام أيًا كانت صفتهم هي النقيض الفعلي والأخطر على الديمقراطية. ووفقًا للظروف المتاحة لهم، تتخذ هذه الممارسات أشكال مختلفة. قد تكون على شكل ديكتاتورية فردية لحاكم استولى على السلطة بالقوة العسكرية المسخّرة لخدمة نزاعاته وطموحاته ومصالحه الشخصية والزبائنية. وقد تكون ديكتاتورية الحزب الواحد الذي يحتكر لقادة الحزب كل شيء في البلد ويمنع قيام أحزاب أخرى وظهور أي معارضة. يرفض التعددية ولا يحترم إرادة الآخرين. كما قد يمارس هذه الديكتاتورية حاكم متسلط يستثمر لمصالحه طائفة معينة أو مذهب ديني معين أو مكوّن اجتماعي عرقي. ولا يكتفي بالتسلط على سائر مكونات البلد بل يسعى للتمدد خارج حدود دولته للتوسع والتحكم بشعوب دول أخرى بهدف إقامة إمبراطورية متسلطة تشبع نزعاته الشخصية التي تحركها طموحات تستحضر حقبات تاريخية معينة تخدم طموحاته. والأخطر من كل هؤلاء الحاكم الذي يعيش في مخيلته جنون العظمة والاعتقاد أنه الملهم والموحي له من المراجع الإلهية بأنه القادر على عمل أي شيء واتخاذ أي قرار والأمر

بتنفيذه. لأنه المخلص الذي يبني عظمة بلاده من خلال عظمته ويعمل لإنقاذ العالم من الحروب إذا سار بمشيئته. وإلا فالويل لكل من يعارضه في الداخل أم في الخارج لا يحترم أي مبادئ ولا أي حدود لسلطانه. إلى هكذا حكام وأمثالهم نقول مع المعلم كمال جنبلاط أن الغاية لكل عمل أو مؤسسة ليس في ذاته غاية بل وسيلة إلى بناء الإنسان. فالدولة تقدس أو تلعن تخصب أو تعقم بقدر ما تخدم هذا الإنسان.

(المرجع: من مقال له نشرته جريدة الأنباء في 1963/12/5). ونسألهم أين أنتم من كل هذا في ممارساتكم؟ وماذا تفعلون لهذا الإنسان بل ماذا سيكتب التاريخ عما فعلتم أو ارتكبتم؟

مسكينة الديمقراطية التي أصبحت علكة يمضغها هكذا حكام بأفواههم ثم يبصقونها ويدوسونها بأقدامهم.!!

- مع الاحداث: 1701 + بلاس، مكيدة إسرائيلية أمريكية جديدة للبنان - سعيد الغز

جهود جبارة لبنانية وعربية ودولية لوقف العدوان الإسرائيلي على لبنان سنة 2006 نتج عنها إصدار مجلس الأمن الدولي القرار 1701 الذي أوقف إطلاق النار بين لبنان وإسرائيل على أمل أن تتواصل الجهود لتحويله إلى هدنة دائمة بين الطرفين. أطراف النزاع المسلح آنذاك تبلغوا رسميا بالقرار ولكنهم بممارساتهم رفضوه بدليل أن أي طرف منهما لم يتقيد به ولم يحترم تطبيقه كما أن مجلس الأمن الدولي لم يهتم بمتابعة مسار تطبيقه وهذا ما أوصل إلى تجدد النزاع المسلح اليوم في العام 2024 ، كانت قد لاحت بشائره في الثامن من تشرين الاول 2023 عندما أعلن حزب الله حرب المساندة لحركة حماس في غزة التي بدأت حرب طوفان الأقصى. شنت إسرائيل حربا شاملة على لبنان تدميرا وتشريدا وقتلا واغتيالا ولا تزال مع حرض قادتها من اليمين العنصري المتطرف على الإعلان عن نواياهم التوسعية بهدف تحقيق الوهم التوراتي بإقامة شرق أوسط جديد تقوده إسرائيل خلافا لكل المعايير والقرارات الدولية والأعراف الإنسانية . في مواجهة مخاطر هذه المغامرات القاتلة تجددت المساعي العربية والدولية لوقف عجلة القتل الإسرائيلية في لبنان وفلسطين واستطاعت الضغوط أن تحقق وقفاً لإطلاق النار بين إسرائيل ولبنان حزب الله دخل حيز التنفيذ فجر 27 تشرين الثاني 2024 وفقا لدفتر شروط قاسية على لبنان ارتضاها المسؤولون لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ووقف العدوان الإسرائيلي المتفاقم فداحة وإجراما ضد البشر والحجر.
إن ما اعتبره واضعوا القرار تدابير تطبيقية للقرار 1701 أتاح لإسرائيل حرية التصرف بحجة الدفاع عن النفس أن تراقب برا وبحرا وجوا كل تحرك مسلح في لبنان وتتصدى له وفي المقابل فرض على حزب الله الانسحاب إلى ما بعد مجرى نهر الليطاني وطالب الجيش اللبناني بنزع سلاح حزب الله ومراقبة الحدود البرية والبحرية لمنع إيصال السلاح والعتاد للحزب ، وهذا يعني أن ما عجز العدوان الإسرائيلي عن تحقيقه في الميدان يريد الإسرائيلي وراعيه وشريكه الأمريكي ، الجيش اللبناني القيام من تحقيقه مع ما قد يتسبب ذلك بنشوب مشاكل ونزاعات داخلية في لبنان قد تهدد بقاءه دولة وسط الانقسام العامودي بين مكونات المجتمع اللبناني حول ما يجري في لبنان والسعي لإعادة تشكيل السلطات الشرعية وعجلة العمل للإدارات والمؤسسات وعودة الجميع إلى كنف الدولة.

هذه المكيدة في القرار 1701 بلاس تريح إسرائيل ومواطنيها وتنقل النزاع إلى الداخل اللبناني بين اللبنانيين أنفسهم وترك لبنان يعاني ويفشل أرباب السياسة فيه في اجتراح الحلول الإنقاذية لبلدهم دون انتظار سراب الحلول المفروضة من الخارج والتي أثبتت الأحداث أنها ميّالة لإسرائيل على حساب الآخرين في المنطقة. في مواجهة هذه المكيدة الخطيرة على حاضر لبنان ومستقبل أجياله بل من وجوده المخرج الوحيد أمام أرباب السياسة صحوة ضمير وطني تتحدى كل المعوقات الداخلية والألعاب الخارجية ويتوحدون للقيام بما يمليه عليهم الواجب الوطني انتخاب رئيس قادر للجمهورية يعيد روابط الشمل بين اللبنانيين ويشرف على تشكيل حكومة كاملة الصلاحيات لإدارة شؤون البلد ويعاود تنشيط مؤسساته وإداراته والانطلاق في حملة إنقاذ شاملة كل القطاعات وتعيد بناء الدولة على أسس وطنية لا طائفية ولا فئوية تحترم الدستور وتعمل بموجبه وتعيد ثقة اللبنانيين بحكامهم وثقة العرب والعالم بلبنان ليعود حرا سيدا مستقلا بقراراته يحترمه الجميع بعد أن احترمه شعبه.

- مقال سياسي: اللبنانيون أخفقوا في حكم أنفسهم... ما العمل؟ - د. عصام نعمان

آن الأوان للاعتراف بحقيقة مرّة: اللبنانيون أخفقوا في حكم أنفسهم. تأكّدتْ هذه الحقيقة بعد استقلال البلاد سنة 1943 وتجدّدت منذئذٍ مع انتهاء ولاية كل رئيسٍ للجمهورية واستحقاق انتخاب كل رئيس جديد. أسبابُ هذه الظاهرة متعددة، لكن أبرزها خمسة:

تعددية عميقة ومزمنة في كينونة البلد ما حال دون تمكّن أحد مكوّناته، أو أحد أحزابه السياسية المتنافسة من امتلاك أغلبية وازنة في مجلس النواب.

نشوء طبقة سياسية حاكمة متكالبة على السلطة والمصالح وتبادل المنافع، على حساب المصلحة العامة.

تدخلاتٌ أجنبية سياسية وعسكرية زادت الوضع الداخلي تعقيداً وفساداً.

اندلاعُ نزاعات سياسية وطائفية تطوّرت أحياناً إلى حضيض حروب أهلية.

قوانين انتخابية فئوية وملغومة، أسهمت في تعميق الطائفية السياسية وترسيخ السياسة الطائفية.

للخروج من الأزمة يقتضي اجتراح نظامٍ سياسي ديمقراطي عادل ومتماسك وقادر على المواءمة بين الاختلافات والمشتركات المتعارضة والمتفاعلة داخل المجتمع السياسي والاجتماعي في البلاد

جرت محاولاتٌ إصلاحية عدّة لمعالجة هذا الاستعصاء الطوائفي أبرزها، مؤتمر الطائف (في السعودية) سنة 1989 ترأسه حسين الحسيني وتمخّض عن اتفاقٍ للوفاق الوطني تضمّن إصلاحات سياسية وإدارية، قامت

حكومة سليم الحص، عبر مجلس النواب، بإدخال معظمها في متن الدستور، لكنها لم تُوضع موضع التنفيذ بسبب صراعات أهل السلطة الفاسدة ومعارضتهم الضمنية لها.

ها هي أزمة لبنان السياسية المزمنة تعود إلى الاحتدام بعد انتهاء ولاية الرئيس ميشال عون أواخرَ شهر تشرين الأول/ اكتوبر 2023، وإخفاق مجلس النواب منذ ذلك الحين في انتخاب رئيس جديد، ووجود حكومة مستقيلة تقوم بتصريف الأعمال يرأسها نجيب ميقاتي. إذ تتكرر المشاورات والمحاولات على مختلف الصعد للتوافق على شخص جدير بأن يكون رئيساً جديداً للجمهورية، تتكشف تعقيدات غريبة عجيبة في هذا المجال، كأن تعترض أوساط وقيادات سياسية على إقدام أحد الزعماء السياسيين من غير المسيحيين على ترشيح وإعلان تأييد نوابِ حزبه لقائد الجيش العماد جوزف عون لرئاسة الجمهورية، السبب؟ لأن المبادرة إلى الترشيح والتأييد «يجب» أن تصدر، في رأي المعترضين، عن قيادة سياسية مسيحية لكون مركز رئيس الجمهورية مخصّص لمسيحي ماروني وليس لمحمدي. لنفترض جدلاً أن منظومة السياسيين المحترفين والنواب الموزعين على مختلف المذاهب والمشارب توصلوا إلى التوافق على شخص مقبول لانتخابه رئيساً في جلسة مجلس النواب المقررة في 9 كانون الثاني/ يناير المقبل، فهل يعني انتخابه أن أزمة لبنان السياسية والاجتماعية المزمنة قد أخذت طريقها إلى الحل؟ الجواب: كلاّ بالتأكيد لأن التداعيات والنزاعات الناجمة عن كينونة البلد التعددية العميقة والمرهقة وسوء استغلالها من قِبل اللاعبين السياسيين المحليين والخارجيين، حالت وما زالت تحول دون تمكين اللبنانيين من النجاح في انتخاب رؤسائهم خلال المهل القانونية، كما في حكم أنفسهم.

ما العمل؟ لا يجوز الاسترسال في العيش والتعايش في مناخ الأزمة السياسية والاجتماعية المزمنة، وتداعياتها ومفاعيلها وظروفها المتكررة والسياسيين المحترفين المواظبين على استغلالها بلا كلل، لمآرب وأغراض ومصالح خاصة. للخروج من الأزمة يقتضي اجتراح نظامٍ سياسي ديمقراطي عادل ومتماسك وقادر على المواءمة بين الاختلافات والمشتركات المتعارضة والمتفاعلة داخل المجتمع السياسي والاجتماعي في البلاد. كيف؟ بالشروع دونما إبطاء بتجاوز النظام السياسي الفاسد والمترهّل، وإقرار الإصلاحات الجذرية والإجراءات الآيلة إلى تحقيقها.

من يقوم بها؟ الجواب: القوى والشخصيات الوطنية غير الملوثة بالفساد داخل النظام القائم، والقوى الوطنية النهضوية الحيّة العابرة للطوائف والمناطق في البلاد. ما مضمون الإصلاحات المنشودة والإجراءات الآيلة

إلى تحقيقها؟ إن الإصلاح الأول والأهم المنشود هو بناء نظام سياسي ديمقراطي عادل ومتماسك وقادر على إنتاج غالبية وطنية إئتلافية عابرة للطوائف والمناطق في مجلس النواب وسائر المجالس التمثيلية المحلية، باعتماد قانونٍ للانتخاب يؤمّن صحة التمثيل الشعبي وعدالته وفق الأسس الآتية:

*اعتماد وانتخاب مجلس للنواب على أساس وطني غير طائفي ومجلس للشيوخ، تتمثل فيه الطوائف «وتنحصر صلاحياته في القضايا المصيرية» تنفيذاً للمادة 22 من الدستور.

*اعتماد نظام التمثيل النسبي بما هو الأعدل للتمثيل الشعبي.

*اعتماد الجمهورية كلها دائرة انتخابية واحدة تنفيذاً للمادة 27 من الدستور التي تنصّ على أن «عضو مجلس النواب يمثل الأمة جمعاء»، بمعنى مجمل الشعب اللبناني.

*خفض سن الاقتراع إلى الثامنة عشرة بغية إشراك الأجيال الشابة في نهضة الوطن والمسؤولية العامة والإفادة من قدراتها.

*اعتماد قانون مدني اختياري للأحوال الشخصية.

*إلغاء الطائفية السياسية وفق خطة مرحلية عملاً بنص المادة 95 من الدستور.

*التوافق في مجلس النواب وخارجه على اعتماد استراتيجية متكاملة للدفاع الوطني تكفل حماية أمن لبنان وسيادته، وتسليح الجيش الوطني، وضمان مشاركته الفعلية في مواجهة العدو الصهيوني والطامعين في أرض الوطن ومياهه وموارده، بالتعاون مع قوى المقاومة الشعبية المتاحة.

في حال تباطأت القوى الوطنية داخل مجلس النواب ومجلس الوزراء الحاليين في إقرار هذه الإصلاحات والإجراءات، فإن جميع القوى الوطنية النهضوية الحيّة بكل انتماءاتها ومشاربها تكون مدعوة إلى القيام، باستقلال عن أجهزة النظام السياسي القائم، بوضع الإجراءات والترتيبات اللازمة لانتخاب مجلس تأسيسي أهلي مكوّن من مئة عضو على مستوى البلاد كلها كدائرة انتخابية واحدة، بغية تشكيل نموذج أهلي متقدم لمجلس النواب المنشود، والمؤهل لتحقيق الإصلاحات المشار إليها آنفاً بحيث يمكن اتخاذه منصةً شعبية لمراقبة أداء سلطات وإدارات وأجهزة النظام القائم ونقدها وتسريع مسيرة تجاوزها باتجاه الإصلاحات المرجوة. مع العلم أن كلفة الترتيبات اللازمة لانتخاب أعضاء المجلس التأسيسي محدودة لكون التصويت يجري إلكترونياً.

صحيح أن ثمة صعوبة ماثلة في النهوض إلى تنفيذ الأولويات الإصلاحية الأكثر إلحاحاً المشار إليها آنفاً،

بسبب حال التنافر الطائفي وتدخلات القوى الخارجية، لكن المخاطر الجمّة التي تواجه الجميع، مسؤولين ومواطنين، تستدعي الارتفاع بلا إبطاء إلى مستوى التحديات والمخاطر الماثلة بغية توفير الأسس والآليات اللازمة لمواجهتها والخروج مما نحن فيه من بؤس وتفكك وانحطاط.

- مقال سياسي: لبنان المُفِيد – الوزير والنقيب السابق د. رشيد درباس

الحُزنُ يُصيبُ فقط الأشخاصَ الذين يَستَوعِبون.
فرانز كافكا

لم أقرأ في أدبيات السياسة عبارةً أشَدَّ مَقْتًا من شعار ‘‘سوريا المُفيدة’’ التي رفعها النظام السوري السابق، تعبيرًا عن ارتياحه لخروجِ قسمٍ كبيرٍ من أراضي الدولة السورية عن سلطته، وتهجير ما يوازي ثلث الشعب السوري عن بلده. وإمعانًا في البذاءة الوطنية، كان الحاكم يرفضُ عودةَ مواطنيه بحجّة فقدان البنى اللازمة لاستقبالهم، ويستعمل هذا الملف للابتزاز الدولي والعربي، فيما هو في قرارة نفسه مُطمئن أنَّ الأكثرية التي كانت تؤرِّقُ حكمه آلت إلى جزرٍ متناثرة قليلة الخطر، فاقدة التأثير. والغرابة أنَّ الساسةَ المُستبدّين يستمرئون استعمال المفردات في عَكسِ معانيها القاموسية أو المُتعارَف عليها.

أتمنى، أنَّ سوريا المُفيدة تؤول الآن إلى معناها الحقيقي، فيعودُ أهلها إليها، وتبسط سلطتها على أرضها كلّها ومواردها كافةً، لأنها في الأصل دولة تامة ومتكاملة جغرافيًّا وبشريًّا وإنسانيًّا، وكانت ذات ريادة في الزراعة والصناعة، وسيّدة تاريخية في التجارة، مليئة بالنخب الخلّاقة والرائدة في عالم الاستثمار والمصارف والثقافة والسياسة والوطنية، وهي بهذه الصفات لا تليق بها الديكتاتورية على الإطلاق، ولا حُكم الحزب الواحد، أو الطائفة أو المذهب، لأنها رفعت على مرِّ العصور، رايات التحديث والابتكار وتعايش الأنواع والأديان، ومارست الحياة الديموقراطية على مدى قصير، فكانت مثلًا واعدًا جدًّا، من خلال حكّامٍ نخبويين، اتّصَفوا بالعلم والجدارة والنزاهة، غفلوا في لحظة لعينة عن طموح ضابط جاهل، قفز إلى السلطة من دون أن يدري كيف يديرها، ففقد حياته بعد فترة وجيزة، وفقدت الديموقراطية تجربتها، بعد أن سقطت النجوم عن أكتاف الضباط المحترمين، إلى ضباط مغامرين، لا تُذكَرُ آثارهم إلّا مصحوبة باللعنات.

من حُسنِ حظِّ لبنان، توأم سوريا في الاستقلال عن الانتداب الفرنسي، وشقيق تجربتها السياسية البرلمانية أنَّ عسكره كان بمنأى عن الإغراء الانقلابي، بحُكم التكوين المجتمعي، وحالة الحرية التي تحول دون الكبت والتسلُّط، حتى إنَّ المحاولاتَ الانقلابية التي جرت، سُجِّلَتْ في خانة التهريج أو انعدام التبصُّر. ومن حُسنِ حظِّ لبنان أيضًا، أنه ظلَّ مُفيدًا بتمسُّكِ اللبنانيين ببقائهم فيه رُغمَ كلِّ شيء، وتأكيدهم على وحدةِ الدولة

والأرضِ والشعب. لكن لبنان المُفيد الذي نرجوه، تَحيقُ بحقوله الأعشاب الضارّة والطُفيلية، وتسرحُ بين منعطفاته عقارب تلدغُ نفسها إذا لم تجد من تلدغه، وأفكار جنينية متحفّزة لإدخالنا في تجارب جهنّمية جديدة، إذا لم يكن هناك من يخمدها في أرحامها.

يوم الخميس المقبل، قد تدقُّ ساعة الحقيقة، أو ستُقرَعُ أجراس الإنذار النهائي، لأننا نعيشُ اليوم وجهًا لوجهٍ أمامَ فُرصةٍ أخيرة لن تتكرّرَ إلّا بعدَ زمنٍ ومُعاناة.

إنَّ المجلس النيابي يستطيع أن يُخرِجَ لنا رئيسًا للجمهورية، بدونِ أن يُعيرَ التفاتًا إلى ختم "النسر" أو الأسد" وغيرهما من الجوارح والضواري، وهو يستطيعُ أن يُقدّمَ للعرب وللعالم منتجًا سياسيًّا جديدًا وواقعيًّا، مفاده أنَّ الأرضَ اللبنانية التي كانت طويلًا ساحةَ صراع، هي الآن الأرض الصالحة للاستثمار البشري والحضاري، وهي الكنف المؤهّل لضمِّ أهلها، بعد أن تشرّدوا في متاهاتِ الولاءات المتناسلة. فالرئيسُ المُنتَخب، المحجوب الهوية حتى الآن، هو رئيسُ إنقاذٍ وتكوينٍ وترميمٍ وثقةٍ وإرادة، وقدرة، وهذه صفات عزيزة، ربما وجدها اللبنانيون في أعماق وجدانهم مُتمثّلة بشخصٍ أو آخر، ولكنَّ الخطَّ بين رغبة الشعب وممثليه سيِّئُ التوصيل، بل إنَّ كثيرًا من هؤلاء المُمثّلين لا يدري حتى الآن كيف سينتخب ومَن سينتخب.

هنا يقتضي التعويل على مبادرةٍ سياسية شجاعة تُسقِطُ من اعتبارها إمكانية إعادة إنتاج تجربةٍ مضت. إنَّ الظروفَ الموضوعية تبدَّلَت لدرجةٍ يستحيلُ معها تكرار سياسة النعامة وأم الصبي والتكيُّف على مضض، فإسرائيل تُمارس حرية إجرامها في لبنان وسوريا واليمن وفلسطين في غياب أية قوة وطنية أو دولية رادعة، وهي تفرضُ توسُّعًا جغرافيًّا خطيرًا، وتتلكّأ في تنفيذ القرار 1701، ربما استدراجًا ل"حزب الله" إلى كارثة أخرى؛ لكن الحزب المجروح والمتحفّز، ينبغي له أن يخرجَ من لغة المجابهة المنفردة، إلى لغةٍ أخرى تتكوّن مفرداتها من وحدة الدولة والسلطة والانصياع للدستور، لأنَّ بنيته التي أُصِيبت بأضرارٍ فادحة لن تجدَ سقفًا لها إلّا تحت التضامن الوطني، وبالتالي، فإنني ألفت المعنيين إلى أنَّ الأكثرية اللبنانية ترفض أن تبقى في حالةِ الفوضى السياسية المُزمنة، وأنَّ منها مَن يتحضّر للتنصُّل من الصيغة برمّتها، ويذهب إلى "لبنانه المُفيد"، وقد يُصبحُ الأمرُ حالةً مُستشرية "للبنانات مُفيدة أخرى" لن تكونَ إلّا ضررًا وطنيًّا وقوميًّا مُطلقًا.

نحنُ نعيشُ في جغرافيا يحدُّها جنوبٌ مُحتَلٌّ ومُدَمَّر، وشمالٌ قلقٌ ومفتوحٌ على الاحتمالات، وبحرٌ جافٌّ من السُّفن والنِّفط، وجَوٌّ مُلَبَّدٌ بغيومِ الموت، فيما المجلس النيابي يعيشُ في جغرافيا بليدة، بلا حدودٍ دستورية أو أخلاقية لا تهبُّ عليها نفحات الحزن، لأنَّ الحزنَ يُصيبُ فقط الأشخاص الذين يَستَوعِبون.

- مقال اقتصادي: الآثار المترتبة على سياسات الرئيس ترامب للطاقة – د. وليد خدوري

يتسلم دونالد ترامب ولايته الرئاسية الثانية في نهاية شهر يناير (كانون الثاني)، مع برامج معلنة تكرارا عن سياساته لقطاع الطاقة الأميركي. ونظرا لأهمية الدور الأميركي على ساحة الطاقة العالمية، فمن المتوقع أن تؤثر سياسات الطاقة المتوقعة هذه على الشرق الأوسط، وسياسات الطاقة العالمية.

انضمت الولايات المتحدة إلى مجموعة الدول الكبرى الثلاث المنتجة للنفط الخام، السعودية وروسيا، بطاقة إنتاجية لكل منها تزيد على 12 مليون برميل يوميا، حيث بدأت الولايات المتحدة الارتفاع العالي في طاقتها الإنتاجية منذ منتصف العقد الماضي (2014-2015) مع الارتفاع العالي لإنتاج النفط الصخري. وقد ارتفعت الاحتياطات الغازية للولايات المتحدة أيضا في نفس الفترة، مع الإنتاج الضخم للغاز الصخري، حيث انضمت إلى مجموعة الدول الغازية الكبرى عالميا، روسيا وقطر وإيران. وكانت إحدى نتائج هذا الارتفاع الإنتاجي النفطي في حينه، انهيار أسعار النفط، ومن ثم التفاهم السعودي-الروسي النفطي، الذي أدى إلى تأسيس مجموعة «أوبك بلس» المتكونة من أعضاء منظمة «أوبك»، وأقطار منتجة من خارج عضوية المنظمة، ولعبت «أوبك بلس» المتكونة من أكثر من 20 دولة نفطية دورا مهما في استقرار الأسواق منذ حينه.

أدت هذه التحولات قبل عقد من الزمن تقريبا أيضا إلى تغييرات كبرى على صعيد ساحة الطاقة العالمية. فبدلا من أن تستمر الولايات المتحدة كدولة مستوردة للنفط الخام والمنتجات البترولية، أصبحت الولايات المتحدة، من أكبر الدول المنتجة للنفط خارج مجموعة «أوبك بلس»، بالإضافة إلى تحولها لدولة مصدرة للنفط الخام. والوضع نفسه بالنسبة للغاز المسال.

إلى جانب هذا وذاك، تحاول الولايات المتحدة أن تلعب دورا مهما في إنتاج واستهلاك الطاقات المستدامة. لكن سياساتها الإنتاجية وحتى الاستهلاكية في هذا المجال تراوحت كثيرا بين الإيجابيات والسلبيات نظرا للاختلافات في وجهات النظر ما بين الحزبين الأميركيين. وقد لعب دونالد ترامب دورا كبيرا في هذه الاختلافات السياسية ما بين الحزبين الرئيسيين. كما أدى تناقض سياسته مع الرئيس الأسبق باراك أوباما إلى سحب عضوية بلاده من «اتفاقية باريس لمكافحة تغير المناخ لعام 2015»، التي تشكل الاتفاق الأساسي العالمي لتصفير الانبعاثات الكربونية بحلول منتصف القرن. إذ يعتبر الرئيس ترامب أن التحول إلى الطاقات المستدامة هو أمر مناقض ومضر لسياسته «أميركا أولا». بمعنى أنها سياسة مضرة للاقتصاد الأميركي.

أطلق ترامب عشرات الوعود في حملته الانتخابية الرئاسية الأخيرة حول سياساته للطاقة للسنوات الأربع المقبلة، في حال فوزه. وكما هو متوقع، ناقض ترامب معظم سياسات الطاقة التي تبناها الرئيس جو بايدن. وقد أشارت نتائج الانتخابات الأخيرة إلى فوز ساحق للجمهوريين في الرئاسة ومجلسي الشيوخ والنواب. ما سيوفر الإمكانية للرئيس ترامب لنجاح مشاريع القوانين التي سيطرحها على الكونغرس.

فالنجاح الجمهوري في البيت الأبيض ومجلسي الكونغرس، حيث أغلبية قوى يمينية متطرفة ذات برامج، يمكن تلخيصها بـ«العودة للسياسات السابقة». هذا يعني عمليا، العودة إلى الاستكشاف والتنقيب عن النفط والغاز، لكن هذه المرة إعطاء الأولوية في الولايات المتحدة للنفط الصخري وتهميش تطوير صناعات الطاقات المستدامة (الشمسية والرياح)، بل وحتى احتمال الانسحاب ثانية من «اتفاقية باريس لمكافحة تغير المناخ لعام 2015»، كما صرح ترامب أثناء حملته الانتخابية.

معنى هذا، فعلا، هو تبني سياسة زيادة الطاقة الإنتاجية البترولية الأميركية، ما سيزود الولايات المتحدة بإمكانية زيادة دورها في أسواق النفط العالمية، كما سيمكنها من زيادة صادراتها للغاز المسال، بالذات للأقطار الأوروبية التي قاطعت إمدادات الغاز الروسي الضخمة بسبب حرب أوكرانيا.

وستساعد سياسة ترامب في ارتفاع كبير في قيمة أسهم شركات النفط الصخري، وهذا أمر يشجعه أصحاب الملايين الذين يشكلون المجموعة الأكبر في فريق ترامب.

إن المهم في الأمر هو أن سياسات ترامب ستترك آثارا سلبية نتيجة تهميش الطاقات المستدامة، بالذات في تأخير أو تقليص برامج تصفير الانبعاثات بحلول منتصف القرن. إذ إن تقليص مساهمات واشنطن المالية لدول الجنوب وحتى للأبحاث الأميركية في مجال الطاقات المستدامة سيؤدي حتما إلى عرقلة برامج تصفير الانبعاثات. وذلك للدور الريادي الذي كان معولا عليه من بقية الدول الصناعية. فتقليص الدور الأميركي الآن سيزيد الأعباء على بقية أقطار العالم، والتي تشكو حتى قبل تهميش الدور الأميركي، من صعوبة المهمة في إنفاق تريليونات الدولارات على الأبحاث العلمية لتطوير صناعات «التقاط، وتخزين، وتدوير الكربون»، ناهيك عن تقليص تكاليف تشييد طاقتي الرياح والشمسية.

المدهش في تصريحات ترامب أثناء الحملة الانتخابية، هو تكراره دعم هذه السياسات وإصراره على تشريع عشرات القوانين خلال اليوم الأول لانتقاله إلى البيت الأبيض رسميا (20 يناير 2025). هناك عشرات التشريعات التي ينوي الرئيس ترامب تمريرها في اليوم الأول لعهده. وهذا أمر صعب للغاية، إن لم يكن مستحيلا فعليا. فحسب النظام الأميركي، يتوجب على الرئيس تحويل مشاريع القوانين إلى مجلسي الكونغرس للتداول والتصويت عليها خلال أسابيع أو أشهر.

لكن، في نفس الوقت، يستطيع الرئيس التشريع من خلال التوقيع على «أوامر تنفيذية» يوقع عليها في نفس يوم إقرارها من قبله، حيث تصبح بموازاة القوانين. وهذا ما سيحاول عمله فعلا، لتمرير قوانين الطاقة، وعشرات غيرها بخصوص مواجهة الهجرة غير الشرعية للولايات المتحدة، التي شكلت أولوية للحزب الجمهوري في الحملة الانتخابية.

تكمن أهمية «الأوامر التنفيذية» في مجال الطاقة وفي هذه المرحلة بالذات، في موافقة الرئيس ترامب السريعة على الموافقة لشركات النفط بالاستكشاف والتنقيب عن النفط في أراضي «الحكومة الفيدرالية»، هذه الأراضي ذات المساحات الضخمة جدا، التي تَعتبر كثيرا منها «محميات» للطبيعة والحيوانات والنباتات. ونظرا لهذه الميزات البيئية للمحميات، فقد منعت الحكومات الأميركية السابقة شركات النفط من الحفر فيها.

أدت تصريحات ترامب حول المضي قدما مع شركات النفط المتحفزة للحفر في المحميات، إلى ردود فعل معارضة من حركات البيئة. من غير الواضح ما يمكن لهذه الحركات القيام به الآن سوى اللجوء للمحاكم الأميركية لمحاولة عرقلة هذا البرنامج. تقع الأغلبية الساحقة لهذه المحميات في ولاية ألاسكا، على مشارف القطب الشمالي.

سيترك الرئيس ترامب، في حال التنفيذ الواسع لسياساته الطاقوية، آثارا مهمة على صعيد الطاقة العالمي. من أهمها، تأجيل تنفيذ «اتفاقية باريس لعام 2015»، ومن ثم تأجيل تصفير الانبعاثات بحلول منتصف القرن.

- **دراسات وتحليلات:**

- **المنطقة العربية وتلازم المسارين: الاستعماري والصهيوني - د. عائدة خداج ابي فراج**

تحتل المنطقة العربية موقعاً جغرافياً يعتبر من الأهم استراتيجية في العالم، خاصة "تلك الزاوية القائمة، فلسطين ولبنان التي تشكل حلقة وصل بين أفريقيا، وآسيا، وأوروبا عبر المتوسط"، كما يصفها محمد حسنين هيكل، والتي تشكل بوابة عبور الغرب إلى الشرق، مهد الحضارات والثقافات والفلسفات القديمة، ومصدر الخيرات والثروات الذي وصفه المؤرخون الغربيون بأنه "جبال من ذهب وفضة". لذلك تعرضت المنطقة إلى موجات من الغزوات، والاحتلالات، والحملات، والانتدابات على مر العصور.

ومما زاد من الأهمية الاستراتيجية لهذه المنطقة، القيام بفتح "قناة السويس" عام 1869، التي اختصرت المسافات والزمان للوصول إلى الشرق، بدل الالتفاف حول "رأس الرجاء الصالح"، وأصبحت المنطقة برمتها هدفا استعماريا، خاصة من قبل بريطانيا التي سعت بكل ما نملك من نفوذ وقوة إلى ضمان ممر آمن إلى الهند "درة التاج البريطاني".

أضف إلى ذلك كله، الأهمية الدينية التي تتمتع بها هذه المنطقة، كونها موطن الديانات السماوية أو الإبراهيمية الثلاث، وخاصة مدينة القدس مدينة التقاء محمد والناصري، وأرض كنعان التي وعد بها ابراهيم ثم موسى من بعده.

وإذا رجعنا أكثر إلى عمق التاريخ، وصولا إلى العهد التوراتي في القرن السابع عشر قبل المسيح، نرى أن أرض كنعان كانت قبلة ابراهيم الخليل الذي ترك مدينة أور الكلدانية، وعبر من أرض بابل إلى أرض كنعان، يوم قطع له الرب يهوه عهداً جاء فيه:

"وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض كنعان، ملكاً أبدياً، وأكون إلههم".

وفي الإصحاح الأول من "التثنية" بقول الاله المسلح الذي يتصف بصفات إله البركان والعاصفة: "ارتجلوا وادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من العربة، والجبل والسهل، والجنوب وساحل البحر، أرض كنعان ولبنان، إلى النهر الكبير نهر الفرات، تملكوا الأرض التي أقسم الرب لأبائكم ابراهيم واسحق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم".

وفي الإصحاح 31 بقول الرب لموسى:

"فتجندوا كما أمر الرب، وقتلوا كل ذكر والملوك أقتلوم فوق قتلاهم، وسبى بنوا اسرائيل نساءهم، وأطفالهم، ونهبوا جميع بهائمهم ... وكل أملاكهم، وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وحصونهم بالنار". وفي الإصحاح 33، يقول الرب لموسى:

"كلم بني اسرائيل وقل لهم، أنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم ..وتخربون جميع مرتفعاتهم وتقتسمون الأرض بالقرعة حسب أسباط آبائكم تقتسمون."

ويصف الإله الرب يهوه أرض الميعاد بأنها:

"أرض جيدة، أرض أنهار من عيون، وغمار تنبع من البقاع والجبال. أرض حنطة وشعير وكرم وتين ورمان. أرض زيتون وزيت وعسل، أرض حجارتها حديد ومن جبالها تحفر نحاساً".

هذه هي أرض الميعاد التي وعد بها يهوه شعب اسرائيل: "الذي اختارك الرب لتكون شعب الله المختار، فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض". وهذا الوصف لأرض كنعان يتماشى ووصف الغرب للشرق بأنه "جبال من ذهب وفضة".

ونسمع صوت يهوه في الإصحاح 23 من التوراة مخاطباً شعبه المختار، قائلاً:

"هو ذا الشعب الذي لا ينام حتى يأكل فريسته، ويشرب من قتلاه، ويقضم عظامهم".

ويقول يهوه في الإصحاح 32: "أنا أميت وأحيي، أسكر سهامي بدم، ويأكل سيفي لحما".

وكذلك، نسمع النبي اليهودي ميخا في الاصحاح 11، يخاطب بني صهيون قائلاً:

"قومي ودوسي يا بنت صهيون، لأني سأجعل قرنك حديداً، وأظلافك أجعلها نحاسا، تسحقين بها شعوباً كثيرين".

هذه هي العهود التي وقعتها الإسباط اليهودية العبرية مع إلهها الحصري يهوه، عهود مهرت بالدم، قدم من خلالها اليهود الطاعة العمياء للاله الرب مقابل حمايته لهم وإعادتهم إلى أرض كنعان.

وهذا هو العهد الدموي الذي تبنته الصهيونية مع السيد الاستعماري الغربي، يقدم فيها اليهود الولاء للإستعمار مقابل حمايته لهم وأعادتهم إلى فلسطين، أرض الميعاد، عهد تبنته الصهيونية في سياساتها التدميرية والإلغائية للآخر، من أجل قيام الدولة القومية لبني اسرائيل، فتلاقت مطامع الاستعمار وأهداف الصهيونية، وتماهى الاثنان، وتلازم المساران الاستعماري والاستيطاني. فصدق الصهاينة الرواية الدينية التوراتية الحتمية التي تقول بحماية الله الأزلية لشعب اسرائيل المختار، وحتمية انتصاره النهائي، بعد تطهيره بالمعاناة، وعودته إلى صهيون عبر رحلة التيه في سيناء، وبعدها العبور إلى فلسطين، أرض الجنة الأرضية الموعودة.

وكما شكلت أرض الميعاد قبلة بني اسرائيل، كذلك شكلت القدس قبلة الاستعمار الغربي الذي أرسل حملاته الصليبية لاسترجاع قبر المسيح (1095-1270) من يد المسلمين. وبما أن التاريخ هو كتاب العبر، تحضرنا صورة أوروبا عشية الحروب الصليبية، كما وصفها كبير الفلاسفة الغربيين فردريك هيغل في كتابه "فلسفة التاريخ": "بدت أوروبا قارة أفقدها الحماس الديني رشدها، فأضلت الطريق إلى الله، وراحت تبحث عن إلهها في القدس، وداخل القبر المقدس وحين فتح الصليبيون القبر المقدس بأيد ترشح دماً من ضحاياهم، لم يجدوا سوى فراغ القبر وظلمته. أما المسيح الذي جاؤوا ليبحثوا عنه في القبر المقدس، فاجأ ذاكرتهم بالقول: لماذا تبحثون عن الأحياء بين الموتى؟".

وهذا يجعلنا على يقين أن الصليبيين لم يأتوا ليستعيدوا قبراً فارغاً، بل ليستعمروا وينهبوا شرقاً وافر الخير والثقافة، وليؤسسوا لمراحل استعمارية لاحقة.

ويضيف هيغل: "أن بداية الحروب الصليبية جرت أولاً على أرض الغرب حيث ذبح عدة آلاف من اليهود، وتم الإستيلاء على ممتلكاتهم، وبعدها بدأ العالم المسيحي زحفه نحو القدس".

وهذا القول هو المؤشر لطرد اليهود من أوروبا، وتوطينهم في فلسطين، أرض الميعاد بعد تهجيرهم من أوطانهم الأصلية. "وبعد مجزرة (1096) من قبل طلائع الصليبيين لليهود في ألمانيا وفرنسا، حول اليهود ملكيتهم إلى ذهب وفضة، وتحولوا إلى مرابين". أن الجامع بين الليبرالية، والفاشية، والقيصرية هو كراهيتهم لليهود، "فتقاطعت رغبتهم لاحقاً بإفراغ أوروبا من اليهود المكروهين، والمشروع الصهيوني الساعي إلى تحرير اليهود من أوروبا".

أن اليهودي في الوعي المسيحي الجمعي هو على صورة النموذج اليوضاسي الذي باع المسيح بثلاثين من الفضة. وكلمة يهودي في الوعي الأوروبي تماثل كلمة مرابي أو تاجر. وأصبحت كلمة " To Jew" الإنجليزية تعني أن يمكر أو يخدع. وكان المال بالنسبة لليهودي معياراً تقاس به الأشياء. وقد جاء في التلمود: "الذهب والفضة يمكنان القوم على الثبات"، و"الثروة والقوة يفرحان القلب". واليهود قبائل مترحلة مارست التجارة والربا والصيرفة.

لقد ساهم النظام المللي في الشرق في تواجد الملل في أحياء خاصة بهم، مثل "حارة النصارى"، و"حارة اليهود" في دمشق، لكن الغيتو في الغرب، فرض على اليهود فرضاً، مما جعل الروح اليهودي الديني القومي يتنامى في المعازل. داخل الغيتو، عاش اليهود حياة جماعية حسب طقوس ديانتهم في "صلاة الجماعة، وحفلات الختان، وعادات الطعام، والانقطاع عن الاغيار الذين لا يتزاوجون بهم، أو يدفنون معهم، أو يأكلون على موائدهم". وهي عزلة كاملة منذ الميلاد، وفي الحياة والموت. لذلك قسم النبي حزقيال العالم إلى "يهود وأغيار".

وقد امتنع اليهود عن العمل يوم السبت، "سبت التاريخ"، كي يعجل بعودة المسيح في نهاية الزمن، ويعود شعبه إلى أرض الميعاد.

لقد بدأ اضطهاد اليهود في القرن الرابع للميلاد حين اعتنق الأمبراطور الروماني قسطنطين الإيمان المسيحي الجديد. وحين جعلت الأمبراطورية البيزنطية المسيحية دين الدولة، أصبحت أولى الامبراطوريات الطاردة لليهود. فحرمت الدولة المسيحية الرومانية زواج المسيحي من يهودية، ومنعت اليهود من بناء الكنيس، وألزمتهم بوضع إشارات تميزهم عن غيرهم، وحرمتهم من دخول الجامعات، وفرضت عليهم ضريبة الرأس، فقبلوا بالعزل مقابل الأمان، وكان اليهودي يشتري أمنه من الملوك والأمراء والنبلاء، فأصبح المال أهم من خبزه اليومي.

طرد اليهود جماعة من بريطانيا عام (1290)، ثم من فرنسا، والمجر، وإيطاليا، وإسبانيا (بعد خروج المسلمين منها)، وفيينا، وبوهيميا، وأوروبا الشرقية. لذلك وجد اليهود الأمان في الغيتو حيث كانوا يتلون صلوات العودة إلى صهيون، وإحياء مملكة إسرائيل. وهذا ما جعل هرتزل، مؤسس الحركة الصهيونية يقول: "نحن قوم من صنع الغيتو".

أن العزلة، والخوف من الأغيار أديّا إلى إنبعاث الفكرة الدينية – القومية، وبناء دولة غيتوية عسكرية. وهذا ما جعل جابوتينسكي أحد مؤسسي الصهيونية يقول:

"المهم أن ننطق بالعبرية، .. لكن الأهم أن نكون قادرين على إطلاق النار"، أي بناء دولة عسكرية قوية قابلة للحياة والاستمرار. ومن هنا نشأت فكرة "السياسة هي فن القوة"، وشعارها "العالم يحترم المحاربين لا المذبوحين". وقد جعلت الصهيونية من الذاكرة الدينية أداة لسياساتها، وأدعى بن غورويون "إن التوراة هي صك ملكية اليهود لفلسطين".

وعلى الرغم من الاقصاء والإضطهاد الذي عاناه اليهود في الدول الغربية على تنوع أنظمتها، إلا أن الصهيونية نشأت كحركة هروبية، هربت من أوروبا الساحة التي كان عليها أن تخوض فيها معركتها ضد أعدائها اللاساميين الذين حرموا على اليهود العمل السياسي وحق المواطنة، وحددوا لهم وظائفهم الاقتصادية، فما كان على اليهود إلا أن يستندوا إلى عكاز المال بانتظار عودة المسيح المتنتظر الذي سيلم شتاتهم ويعيدهم إلى أرض الميعاد.

وقد تزامن نشوء الصهيونية كحركة عنصرية، استعمارية استيطانية، وسط حمى نشوء القوميات في أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر، حيث تسارعت العرقية، والاثنية واللغوية إلى ابتكار هويات قومية، فاندمجت مجموعات، وتشكلت دول جديدة، وزالت أخرى على قاعدة القومية. إلا أن الشعب اليهود قد رفض الإندماج في المجتمعات الأوروبية بسبب ازدياد العداء للسامية من قبل الأوروبيين. فتخلوا عن نهج انتظار المخلص بالإنتقال إلى العمل السياسي والنقابي والتنظيمي، وبدأوا يرفعون مطالب متطرفة للحصول على ملاذ ووطن قومي يجمع شتاتهم، وذلك عن طريق دعوة اليهود للهجرة إلى فلسطين لإقامة وطن قومي يهودي، وهي فكرة متجذرة في تاريخ، ودين، وثقافة اليهود، وفي أعماق اللاوعي الجمعي. فشخصنوا المسيح في زعماء حظيوا بمرتبة النبوة، والقداسة. وكان أبرزهم تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية في مؤتمر بازل عام (1897) الذي حظي بمرتبة "المخلص"، ووصف كتابه "دولة اليهود" بـ "الشريعة الثانية بعد الموسوية.". وقورن بن غوريون مؤسس الدولة عام (1948) بوريث موسى، يشوع بن نون، القائد العسكري الذي قاد غزو القبائل العبرية لفلسطين الكنعانية.

أن الصهيونية هي مركب فكري يهودي – أوروبي، تمزج بين مدارس فكرية أوروبية متباينة، تشمل البورجوازية، والماركسية والفاشية من جهة، واليهودية في أصلها التوراتي العسكري، القائم على عهد مهر بالدم بين يهوه وشعبه المختار. وقد نتج عن هذا التمازج الفكرة القومية ومشروع دولة اليهود.

أخذ الصهاينة عن الفاشية معتقدها القومي الجمعي، واعتبروا أن الأمة اليهودية هي "ملح الأرض"، و"محرك التاريخ"، تقوم على ثنائية "الأنا واللا أنا" ل "نيتشه"، التي تتطابق وثنائية "اليهود والأغيار". أن الصهيونية لا تنفصل عن اليهودية، بل توظف أساطيرها بما يخدم أغراضها، فهي ظاهر سياسي لباطن ديني، لذلك يمكن القول أن الدين اليهودي هو عماد القومية اليهودية، ورافد أساس للصهيونية السياسية.

وتلاقت أهداف الحركة الصهيونية الهاربة من الجغرافيا الأوروبية والراغبة في التحرر من أوروبا، ورغبة أوروبا الإستعمارية في التحرر من اليهود المكروهين والمنغلقين على الذات – االجمعية. وقد حملت الصهيونية في طياتها سمات الحملات الصليبية الأوروبية التي ادعت أن هدفها هو إسترجاع الأرض المقدسة، فادعت بدورها العودة إلى فلسطين أرض الميعاد الموعودة.

لقد زعم هرتزل "إن الصهيونية ولدت في مؤتمر بازل عام (1897)، لكن الحقيقة أن ولادة الصهيونية في أوروبا كفكرة لا كحركة سياسية قد سبقت المؤتمر الصهيوني التأسيسي بمدة تقارب الأربعة قرون.

تقول بيان نويهض الحوت، المؤرخة والباحثة في الشؤون الفلسطينية: "ليس من المغالاة بشيء القول أن الصهيونية غير اليهودية كانت قد انتشرت في أوروبا، بيما كان اليهود أنفسهم في أوروبا الشرقية والغربية لا يزالون خارج النشاطات الصهيونية، بل كانوا أكثر الأحيان ضدها، وبعضهم لم يسمع بها بعد، وبعضهم لا يستوعبها عقليا ونفسيا. ويمكن القول أن اليهود كانوا آخر من اكتشف الصهيونية في أوروبا".

أن فكرة الصهيونية التي تبناها الغرب الأوروبي نقرأها في كتاب مارتن لوثر، مؤسس البروتستانتية "نفاق اليهود"، الصادر عام 1543، الذي خاطب الأمراء الألمان قائلا:

"يجب ألا تتحملوهم بعد اليوم (اليهود)، إنهم يجزفون على مخلصنا المسيح، والعلاج هو بطردهم إلى أرض كنعان، وليمتصوا هناك دم الأغراب".

ولكن لوثر البروتستانتي كان قد ماهى البروتستانتية واليهودية في كتابه السابق "يسوع ولد يهوديا"، الصادر عام 1523، محاولا "تقريب المسيحية من اليهودية، وتغريب الكثلكة عنها". وقد أعلن لوثر "أن اليهود أقرب إلى أله المسيحيين من المسيحيين أنفسهم"، وأن كلمة الله وأسفار الكتاب المقدس أنزلت للعالم عن طريق اليهود. وقد أسس أيضاً لصدقية النبوءة القائلة بعودة المسيح الثانية، وإعادة اليهود إلى أرض

الميعاد. فالصهيونية هي النسخة السياسية للايمان اليهودي البروتستانتي، أي "أن التوراة هي صك ملكية اليهود لفلسطين".

ان سر العلاقة بين اليهودي والبروتستانتي يعود إلى تنامي قوة وثروة الطبقة البورجوازية في أوروبا الغربية في القرن السادس عشر التي وجدت في اليهودية القائمة على عكاز المال، المفاهيم المادية والدنيوية والنفعية التي تخدم مصالحها. فالبروتستانتية العائدة إلى اليهودية، إنما كانت تعود إلى تقديس اليهود للحياة الدنيا، وإلى عبادتها للمال، وتمجيدها للنجاح وجمع الثروة. وها هو العالم يصبح يهودياً، بعد أن أصبح اليهودي عالميا بسبب حلول الروح التجاري النفعي في العالم البوجوازي، فلا عجب أن يصرح كولن باول، وزير خارجية أمريكا "أن أمريكا هي دولة مسيحية يهودية"، محدداً بذلك هوية أمريكا الاستعمارية والإمبريالية التي تسيطر على اقتصاد العالم.

"لقد ترقب اليهود نهاية الزمن، ورصدوا العلامات التي تبشر بظهور المسيح أبن داود الذي يجمع شعبه من أربع زوايا الأرض ويعود بهم إلى أرض إسرائيل". فوجد اليهود علامات الزمن الخلاصي في حركة الإصلاح الديني التي قادها لوثر في وجه أعدائهم الكاثوليك في القرن السادس عشر.

شهد اليهود حركة التنوير اليهودية التي قادها موسى مندلسون في ألمانيا، ومن بعدها حركة الإصلاح التي قادها الحاخام ازرائيل جاكوبسون والمصرفي الألماني، لكن لم تستطع هاتان الحركتان إلغاء وقائع التمييز ضد اليهود والتحامل عليهم في أوروبا، على الرغم من صدور القانون الفرنسي الذي حررهم سياسيا ومدنيا عام (1791)، وقانون نابوليون عام (1897)، الذي تبنته معظم الدول الأوروبية. وقد اعتبر المؤرخ البريطاني اندرو روبرتس أن قوانين نابليون قد أسست في العالم الغربي لمعايير دولة الوظائف بناء على الجدارة والمساواة أمام القانون، واحترام حق الملكية، والتسامح مع الأديان والمذاهب، وعلمنة النظام التعليمي، وابتكار النظم المالية السليمة.

لكن هذه الحركات الإصلاحية، وقوانين بونابرت كلها، كما يقول هرتزل: " لم تغير الواقع الاجتماعي الرافض لليهود من جهة، وأن تحرر اليهود من المعازل لم يخرجهم من حضانة الغيتو الذي مارسوا فيه يهوديتهم على مدى ألفي، إلى حضن الأمة الأوروبية والاندماج فيها، من جهة أخرى". "أن فرنسا حررتنا بقانون لا تشعر في وجدانها أنه صحيح، فبقي القانون خارج المجتمع. أنه قانون أملاه الواجب".

هذا هو واقع الحال الذي عبر عنه هرتزل، وهو رفض اليهود للاندماج مع الأغيار، وكراهية الأغيار لهم.

حاولت البورجوازية اليهودية إنقاذ اليهود من خصوصيتهم الوظيفية، ودمجهم في المجتمعات الأوروبية بهدف الخلاص من اللاسامية التي تهدد مصالحهم، فكان رد ماكس نوردو المفكر والزعيم الصهيوني الألماني: "أن اليهود الأثرياء وحدهم يمكنهم البقاء والعيش في دول لا تسامح فيها، لذلك علينا بالتالي إيجاد ملجأ لفقرائنا، إذا شئنا أن لا نتعرض لسوء المصير".

لذلك تأولت الصهيونية العديد من الأساطير ومنها أسطورة المسيح العائد في نهاية التاريخ لجمع شتات شعبه على أرض كنعان، وأسطورة خروج موسى بشعبه من الأسر المصري "أرض العبودية" إلى سيناء، بدءا بالتيه ووصولاً إلى اقتحام خليفته يشوع بن نون لأرض فلسطين؛ والتفضيل الإلهي لبني اسرائيل، واصطفاء "الشعب المختار" للرسولية العالمية، والعهد الثنائي بين الإله القومي يهوه وشعبه المختار، والذي يلزم الإله بالحماية والرعاية، مقابل ولاء الرعية المطلق. وقد عادل الصهاينة حقبة "الأسر المصري التي دامت أربعة قرون (1447 ق.م.) بألف سنة من القهر في الشتات الذي وصفوه بالمنفى، وماثلوا هجراتهم إلى فلسطين بالخروج من أرض العبودية إلى أرض الحرية، لذلك اعتبروا هرتزل المسيح المنتظر الذي سيعيدهم إلى فلسطين ويلم شتاتهم من كافة صقاع الأرض.

ويقول وايزمان: "أن الأمل بمجيء المسيح المنتظر، جزء من حياتنا، مغروس في تقاليدنا، ومقدس بدم شهدائنا عبر آلاف السنين. إنه أمل لا يمكن للأمة أن تنساه، دون أن تفقد صفتها كأمة." وهكذا جمع مؤسسو الصهيونية بين الأسطورة والواقع التاريخي، وحولوا الأسطورة إلى تاريخ.

ولمواجهة اللاسامية، بدأت الجمعيات والمنظمات الصهيونية بالظهور، مثل "جمعية إحياء صهيون"، و"رجوع أهل يعقوب إلى فلسطين"، وذلك بعد اغتيال القيصر الروسي الكسندر الثاني عام 1881، والمجازر التي ارتكبت بحق اليهود بعد اتهامهم باغتيال القيصر. بدأت هاتان المنظمتان بإحياء اللغة العبرية، وشراء الأراضي في فلسطين، وتدريب الشباب اليهودي على حمل السلاح، وتهجيره إلى فلسطين، وبناء الجمعيات الزراعية قرب يافا (1882-1897).

لقد أدرك مؤسسو الحركة الصهيونية أن مشروع الوطن القومي اليهودي لا يمكن أن يتحقق إلا إذا حظي بدعم دول أوروبية كبرى، فأقاموا حوارا مع كافة الدول الأوروبية ذات المصلحة في التوسع

الاستعماري على حساب الدولة العثمانية التي بدأت بالتداعي والانهيار. وقد تسارع الغرب إلى تقاسم تركة العثمانيين، من إيطاليا الفاشية، وألمانيا النازية، إلى فرنسا وبريطانيا وأمريكا، ما عرف بالمسألة الشرقية، وقد أرتكز هذا الحوار على قاعدة توافق المصالح بين الحركة الصهيونية والغرب الاستعماري.

وقد سعى الصهاينة، بدءا بهرتزل، إلى موافقة السلطان العثماني عبدالحميد على السماح لهم بالهجرة، وشراء الأراضي، والتوطن في فلسطين مقابل المساعدة في تنظيم اقتصاد الدولة، وتزويدها بهبات وقروض ترفع عن كاهلها عبء ديونها، والتلويح بولاء سياسي لإمبراطورية بني عثمان. ولكن قوبل هذا المشروع برفض مطلق من السلطان عبدالحميد.

وجد مؤسس الصهيونية تيودور هرتزل ضالته في الغرب الاستعماري الغارق في الصراعات القومية، والذي بلغ تنافسه على أشده لوضع اليد على مناطق نفوذ العثمانيين بعد تفاقم المسألة الشرقية، فتلازم المساران وتوافقت المصالح.

وقد تحولت الحركة الصهيونية إلى واقع سياسي على يدي تيودور هرتزل، الذي لم يزر فلسطين يوما أو يتكلم العبرية، وإلى مشروع قومي في المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل السويسرية عام 1897 الذي شكل الحجر الأساس للصهيونية، هو وكتاب هرتزل "دولة اليهود" الذي نشر عام 1896 والذي جاء فيه: "أن مساعدة أوروبا للمشروع الصهيوني، سيريحها من اليهود المكروهين من جهة، وسيجعل يهود فلسطين حلفاء للغرب من جهة ثانية".

هكذا لخص هرتزل أهداف الصفقة بين الصهيونية والاستعمار، يقدم فيها اليهود الولاء للسيد الغربي الاستعماري، مقابل حمايته لهم، صفقة تعود جذورها إلى العهد التوراتي الذي وقعته الأسباط اليهودية العربية مع إلهها يهوه، عهد مهر بالدم، قدم من خلاله اليهود الطاعة العمياء للإله الرب مقابل حمايته لهم وإعادتهم إلى أرض كنعان. وهذا العهد الدموي الذي تبنته الصهيونية في سياساتها التدميرية، والإلغائية للآخر، عهد عقده هرتزل مع الإله الأمبريالي الذي وعد بإعطاء أرض فلسطين مقابل "أن يشكل اليهود جزءاً من السور الأوروبي ضد آسيا، ومخفرا أماميا للحضارة في وجه البربرية"، كما يقول هرتزل في كتابه "دولة اليهود"، وعلى قاعدة "التفوق الغربي ومدنيته، مقابل التخلف العربي الإسلامي وهمجيته".

شارك في المؤتمر الصهيوني 204 مندوبين من يهود العالم، فكان بداية الصهيونية السياسية.

خاطب هرتزل المتجمعين مجترحا الحل لمشكلة اليهود وهو: "وجود دولة يهودية عصرية كحل لمشكلة اليهود في العالم الذين تعرضوا للإضطهاد المستمر في أوروبا".

وما إن أنهى هرتزل كلمته الافتتاحية للمؤتمر الصهيوني ودعوته لقيام دولة قومية يهودية حتى هتف الحضور "عاش الملك"، ليماهوه بملوك الدولة العبرية (شاوول، داود وسليمان).

وقد رأى المجتمعون أن الوسيلة الوحيدة التي تقرب ظهور المخلص هو تنظيم الهجرة إلى فلسطين والتوطن فيها، وانتظار المسيح على أرضها. فساووا بذلك بين حقوق العلمانيين والمتدينين من اليهود، وزاوجوا بين الماضي العبري وحاجات الراهن السياسي، وبين الذاكرة والحاضر، أي بين الوعي واللاوعي الجمعي.

لقد نجح هرتزل في تنفيذ أهداف المؤتمر الذي عرف بـ "برنامج بازل". ولكن وعلى الرغم من الإحباط الذي أصاب هرتزل بسبب عدم حماس أثرياء اليهود لتمويل مشروع إقامة وطن قومي يهودي أما في فلسطين أو الأرجنتين أو أوغندا، استطاع أن يروج لفكرة استعمار فلسطين "وإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، يضمنه القانون العام".

وقد أتت مقررات المؤتمر على الشكل التالي:

1 - تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

2 - تنظيم اليهود وربطهم بالحركة الصهيونية.

3 - اتخاذ السبل والتدابير للحصول على تأييد دول العالم للهدف الصهيوني (أي إعطاؤه شرعية دولية).

4 - تشكيل المنظمة الصهيونية العالمية بقيادة تيودور هرتزل.

5 - تشكيل "الوكالة اليهودية" لتنفيذ قرارات المؤتمر، ومهمتها جمع الأموال في صندوق قومي لشراء الأراضي وإرسال مهاجرين يهود لإقامة مستعمرات في فلسطين".

وبعد 51 عاما على انعقاد المؤتمر، تحقق الحلم التوراتي – التلمودي بقيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين عام 1948، التي وصفها كمال جنبلاط بالقول: "إنها الإثم العبراني المتحول إلى صهيونية جامحة، قائمة

على إستيطانهم لأرض بلاد كنعان، وإقامتهم دولة عنصرية طائفية، واستيلائهم على عاصمة الإلتقاء بين محمد والناصري في القدس المطهرة، وما زال هذا الجيل المندثر يحمل "توراته على ظهره".

وقد نتج عن هذا المشروع لاحقاً، وبسبب تماهي مصالح الإستعمار وأهداف الصهيونية إلى "اقتلاع شعب فلسطين من أرضه وتشريده، مقابل إقتلاع جذور يهود العالم من مجتمعاتهم وتهجيرهم إلى فلسطين لإقامة دولتهم القومية اليهودية".

وقد رفض الصهاينة الوافدون فكرة التعايش مع الشعب الفلسطيني، وبدأت عملية التهويد وصهينة فلسطين بسبب عنصريتهم القومية والدينية، ونزع طابعها العربي، وزرع المواطنين اليهود الذين لا صلة بينهم سوى صلة الدين، ولا رابط بينهم سوى العنصرية، ليحلوا مكان السكان الأصليين".

لقد لاقت مقررات المؤتمر هوى في نفوس الإستعمار الأوروبي الذي شكل الشرق صلب مخططاته منذ بدء الحروب الصليبية، والذي وصل إلى اشده حين تكالب الإستعمار الغربي على تقاسم مناطق السلطنة العثمانية ما عرف "بالمسألة الشرقية"، كما سبق وذكرنا.

وكان نظام الإمتيازات والمعاهدات التجارية والاقتصادية بين الغرب والسلطنة العثمانية قد مهد الطريق لتغلغل الإستعمار الغربي إلى المنطقة العربية، وأولى الامتيازات كانت قد منحت لفرنسا عام 1536، التي سهلت الدخول العسكري لنابوليون بونابرت إلى مصر عام 1798، والذي شكل تحديا لبريطانيا التي استبسلت في سبيل الحفاظ على طريقها إلى الهند "درة التاج البريطاني".

فنشأ الصراع بين فرنسا وبريطانيا التي أنزلت الهزيمة بالفرنسيين في "معركة أبي فير"، واحتلت مصر عام 1882.

وقد استغل الغرب حركة محمد علي باشا النهضوية القائمة على الأخذ من علوم الغرب وتقدمه، فتنافسوا على بعث الإرساليات التبشيرية تمهيداً للتدخل الإقتصادي، والثقافي، والعسكري، بعد ما غرقت السلطنة بالديون، وضعفت التجارة والصناعة العثمانية بسبب منافسة الغرب لها. وقد أعتبر الأمير شكيب أرسلان أن الإستعمار الغربي قد أستغل التبشير ونظام الملل في السلطة كي يتغلغل في المنطقة العربية، فيقول: "إن المبشرين يمزجون الدين بالسياسة، فكان الدين وسيلة، وأما السياسة فكانت الهدف الحقيقي، وهو استعمار الشرق، وتنفيذ مهمة التنصير"، و"لذلك عمل الإستعمار على أبقاء العرب والمسلمين قابعين في مستنقع الذل والتخلف من جهة، مقابل أن ينعموا بخيراته وثرواته من جهة أخرى".

لذلك حاول الإستعمار إحباط محاولة محمد علي باشا لتأسيس أمبراطورية عربية موحدة ومترامية الأطراف، وفصلها عن السلطنة العثمانية من الهلال الخصيب حتى الجزيرة العربية، وضمها إلى مصر، فهبّ الغرب لمقاومة المشروع واخفاقه خوفا من سقوط الدولة العثمانية المتهالكة، وقيام دولة قوية متينة بديلة تحت سيطرة محمد علي. وكانت بريطانيا الأشد معارضة لهذا المشروع الوحدوي للحفاظ على طريقها إلى الهند.

وقد أحبط الغرب مجددا، وعلى رأسه بريطانيا، محاولة الوحدة العربية الثانية حين حاول الشريف الحسين بن علي أن يقيم ملكاً عربياً في الجزيرة العربية والهلال الخصيب. وقد لعب العميل الاستخباراتي البريطاني توماس لورانس الذي أدعى مناصرته للثورة العربية الكبرى ضد العثمانيين الدور الأساس في خداع العرب بعدما نكث بوعده للعرب بالحرية والإستقلال، إستجابة للمخطط البريطاني الهادف إلى ربط المنطقة العربية بالمصالح البريطانية. وقد أعلن لورانس جهارا أهداف المؤامرة بالقول:

"أن أهدافنا الرئيسية هي تفتيت الوحدة الإسلامية، ودحر الامبراطورية العثمانية، وتطويع الحركة القومية العربية عن طريق مواجهة العرب للعثمانيين والقضاء على الإثنين معاً".

وقد سعت بريطانيا إلى تطويق المنطقة العربية وربطها بمصالحها ومشاريعها، وذلك لتفويت الفرصة على الفرنسيين من التغلغل في المنطقة. وقد صرح لورانس: "أنني أرى أن فرنسا لا تركيا هي عدوتنا فيما يتعلق بسوريا".

وكان لورانس قد وعد العرب بالحرية والاستقلال كي يكسب جانبهم وجعلهم يقاتلون إلى جانب الإنجليز للقضاء على العثمانيين، فكتب قائلا:

"لقد ساعدت على حبك المؤامرة، وخاطرت، لايماني أن وقوف العرب إلى جانبنا حيوي لتحقيق أملنا في انتصار سريع، بخس الثمن في الشرق، والأفضل لنا أن ننتصر وننكث بوعدنا من أن ننكسر".

وبعد مؤتمر بازل الصهيوني في عام 1897، الذي عقد بدعم من الدول الأوروبية الإستعمارية، خاصة وأن اليهود كانوا يشكلون القوة المالية التي يستدينون منها، تشابكت مصالح الإستعمار والصهيونية، من جديد، وتماهت الأهداف. وعاد الاستعمار الأوروبي ليمتطي صهوة الصهيونية، فدعت بريطانيا، الأشد رغبة في قيام دولة إسرائيل لضمان طريقها إلى الهند، إلى عقد مؤتمر كامبل بنيرمان (Campell Bennerman) عام 1907، في لندن بدعوة من رئيس الوزراء البريطاني الذي سمي المؤتمر بإسمه،

وذلك لإيجاد آلية للحفاظ على مكاسب الدول الاستعمارية، وإطالة أمد الاستعمار. وقد شارك فيه كل من الدول الاستعمارية: بريطانيا، فرنسا، هولندا، بلجيكا، إسبانيا وإيطاليا. إعتبر المؤتمرون أن الدول الغربية الإستعمارية هم ورثة السلطنة العثمانية "وأن البحر المتوسط هو الشريان الحيوي للإستعمار، لأنه الجسر الذي يربط الشرق بالغرب، والممر الطبيعي إلى القارتين: الآسيوية والإفريقية، وملتقى طرق العالم، ومهد الأديان والحضارات. ومشكلة هذا الممر أنه يعيش على شواطئه الجنوبية والشرقية، شعب واحد، تتوفر له وحدة التاريخ والدين واللسان".

أجمع المؤتمرون على أن "مصدر الخطر الحقيقي على الدول الاستعمارية يكمن في المناطق العربية من الدولة العثمانية، بعدما أظهر شعوبها يقظة سياسية ووعياً قومياً ضد التدخل الأجنبي، والهجرة اليهودية، والحكم التركي".

لذلك أوصى المؤتمر: "أن خير وسيلة لإطالة عمر الإستعمار هو تفكيك وتجزئة المنطقة العربية، وانتشار دويلات مصطنعة تابعة للإستعمار، وفصل الجزء الإفريقي عن الجزء الآسيوي، وقيام دولة قوية عازلة على الجسر البري الذي يربط أوروبا بالعالم القديم وبالبحر المتوسط، وعلى مقربة من قناة السويس"، هي دولة إسرائيل.

ويتساءل التقرير:

"ماذا لو دخلت التقنية الحديثة، ومكتسبات الثورة الصناعية الأوروبية، وانتشر التعليم، واستغلت ثرواتها الطبيعية، عندها تكون الضربة القاضية للامبراطوريات الاستعمارية التي ستؤدي إلى انهيارها".

لذلك وللحفاظ على مصالحهم ومكتسباتهم، قررت هذه الدول "استمرار وضع المنطقة المجزأ، ومحاربة إتحاد شعوبها، والإبقاء على جهلهم وتفككهم، وفصلها عن بعضها البعض، بإقامة حاجز بشري على الجسر البري الذي يربط آسيا بإفريقيا، ويربطهما بالبحر المتوسط، وعلى مقربة من قناة السويس، قوة صديقة للإستعمار وعدوة لسكان المنطقة، هي دولة إسرائيل".

وقد وصف الكثيرون من المؤرخين هذا المؤتمر بأنه "أخطر مؤتمر لتدمير الأمة العربية والإسلامية، وهدفه إجهاض النهضة العربية، وعدم استقرار المنطقة من خلال زرع كيان صهيوني، هو بمثابة السرطان للوطن العربي بشكل عام، ولفلسطين بشكل خاص"، وزرع خنجر في خاصرة العرب، وإقامة مخفر أمامي لحماية مصالح الإستعمار في الشرق.

لذلك نستطيع الجزم، أنه ليس من باب الصدفة أن تتلاقى أهداف الصهيونية في مؤتمر بازل بإقامة "دولة قومية يهودية على أرض فلسطين"، ومصالح الاستعمار الغربي كما وردت في مؤتمر "كامبل بنرمان" ومقرراته السرية التي ظهرت فيما بعد إلى العيان بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى. وتولى المليارديرالي اليهودي جاكوب روتشيلد، أكبر داعية للصهيونية وممول للحركة الاستيطانية في فلسطين، تنفيذ وعد آرثر بلفور وزير خارجية بريطانيا، بموافقة بريطانيا على "إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين". وتحويل المنطقة العربية إلى مناطق نفوذ تتقاسمها الدول الغربية الاستعمارية فيما بينها. وقد تقاطعت هذه الرغبة، إضافة إلى مشروع إفراغ أوروبا من اليهود، المكروهين والمتحكمين بالقوة المالية، مع المشروع الصهيوني الإستيطاني فتلازم المساران.

ونظراً لموقع فلسطين الاستراتيجي، حاولت بريطانيا وضع اليد عليها بعدما قاومت الوجود الفرنسي في المنطقة، وأنشأت أول قنصلية لها في القدس عام 1838، وبدأت بتهجير اليهود إلى فلسطين على متن بواخرها. وبريطانيا التي نكثت بوعدها للعرب بالإستقلال والحرية، لم تنكث بوعد بلفور لليهود عام 1917. وعلى الرغم من اقتراح حاييم وايزمان "رئيس منظمة الصهيونية العالمية"، وأول رئيس لدولة إسرائيل، أن تكون الدولة القومية اليهودية في أوغندا أو العريش أو قبرص، لكن مصالح الإستعمار الغربي، وخاصة البريطاني، فرضت قيامها في فلسطين بحجة "أن فلسطين وطن بلا سكان، فيجب أن تعطى لشعب بلا وطن"، كما ادعى أحد كبار الصهاينة، "وأن تكون فلسطين يهودية، كما هي بريطانيا انجليزية وفرنسا فرنسية".

واقترح بن آفي قائلاً: "على اليهود أن يطهروا وطنهم فلسطين من الغاصبين، وأن أمام المسلمين الصحراء والحجاز، وأمام المسيحيين لبنان، فليرحلوا إلى تلك الأقطار".

ووفاء لوعد بلفور، صرح تيودور هرتزل: "أن الصهيونية هي الرسول الأمين لنشر الثقافة والمدنية والحضارة الأوروبية في الشرق".

شكلت بريطانيا حارسا أمينا للصهيونية الاستيطانية رعاية لمصالحها، فأصدرت وعد بلفور، الذي نتج عنه اتفاقية سايكس – بيكو الذي إعتنق كل ممن عقدها مارك سايكس البريطاني وجورج بيكو الفرنسي الصهيونية عام 1915 أي قبل عام من انعقادها عام 1916.

وقد وصف وعد بلفور بـ "أنه أغرب الوثائق في التاريخ، إذ منحت دولة إستعمارية أرضاً لا تملكها إلى جماعة لا تستحقها، على حساب من يملكها ويستحقها، ما أدى إلى اغتصاب وطن، وتشريد شعب بكامله على نحو لا سابقة له في التاريخ".

ثم تلى ذلك مؤتمر الصلح المنعقد في باريس عام 1919، الذي دعم الصهيونية ومشروعها الاستيطاني كون بريطانيا كانت القوة المتحكمة بقراراته.

وكرس مؤتمر سان ريمو المنعقد في ايطاليا عام 1920 بين الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى، العمل على تطبيق اتفاقية سايكس – بيكو، وتوزيع الإنتدابات في المنطقة، فدخلت على أثره بريطانيا من الباب الواسع، الموافق عليه دولياً، إلى المنطقة، ووضعت اليد على فلسطين كدولة منتدبة، مكرسة الصهيونية كحركة سياسية اتخذت فيما بعد طابعها العسكري الإحتلالي الاستيطاني، الذي ما زالت المنطقة ترزح تحت ثقله وتكاد أن يتسبب بتفجيرها وإعادة تركيبها من جديد على مقاس الإستعمار وصنيعته إسرائيل. فهلل الصهاينة لوعد بلفور الذي اعتبروه "إشارة إلهية تؤكد عدم تخلي الله عن شعبه، وإلتزامه بالعودة إلى أرض كنعان"، معتبرين كتاب هرتزل "دولة اليهود" بأنه "إنجيل الحركة الصهيونية"، وبأن التوراة "هو صك ملكية اليهود لفلسطين"، لتتلاقى الأسطورة والسياسة وليتجدد العهد الممهور بالدم على أرض فلسطين.

وهكذا بدأت مرحلة المعاناة للشعب العربي الفلسطيني منذ العام العام 1920، حين تحولت الصهيونية من موقع المفاوض إلى موقع الهجوم. رفض الصهاينة فكرة التعايش مع الشعب الفلسطيني إنطلاقا من عنصريتهم وعدائهم للأغيار، وبدأوا عملية تهويد وصهينة فلسطين، ونزع طابعها العربي تحت ظل الإنتداب البريطاني الذي احتضن المؤامرة وعمل على تنفيذها بين عامي 1922 و1948 وهو العام الذي شهد تقسيمها إلى إسرائيل من جهة، والضفة الغربية وغزة من جهة أخرى.

وقد شهدت هذه الفترة إنتفاضات وطنية قام بها الفلسطينيون وإخوانهم العرب ضد الإدارة البريطانية للولاية الفلسطينية، مطالبين بالاستقلال والحرية، وإنهاء الهجرة اليهودية، ووقف شراء الأراضي.

شكل الشيخ عزالدين القسام نموذجا لطلائع المجاهدين والمقاومين للمشروع الإستعماري البريطاني في فلسطين، في لحظة سيدت نفسها أوروبا ولياً على شعوب المنطقة. فنادى بالكفاح المسلح ضد الإستعمار حيثما وجد، في ليبيا ضد الطليان، وفي سوريا ضد الفرنسيين وفي فلسطين ضد البريطانيين. بدأ الشيخ

القسام انتفاضته ضد البريطانيين والصهاينة بعدما شكل جماعة سرية مسلحة انطلاقا من حيفا، حوالي العام 1925، تحت اسم "العصبة القسامية". واستمرت المواجهات بينه وبين البريطانيين حتى انتهت باستشهاده في تشرين الثاني من العام 1935.

وعلى أثر تمرد واستشهاد القسام، تبنى المجاهدون الفلسطينيون نهجه النضالي، ودعا الحاج أمين الحسيني في أيار من العام 1936 إلى أضراب عام باعتباره يوم فلسطين. ثم تشكلت مجموعات جهادية ضد بريطانيا والمشروع الصهيوني الإستيطاني. وفي العام 1937 حصلت الإضرابات المفتوحة، والصدامات المسلحة العنيفة ضد البريطانيين، الذين قاموا بقمع الثورة بوحشية وقسوة، ما أدى إلى إضعاف الثورة.

وتحت وطأة الضغوط البريطانية، وضغوط بعض الملوك والأمراء العرب، والانقسامات الفلسطينية الداخلية، والعواقب الاقتصادية للإضراب الذي دام ستة أشهر، قامت "اللجنة العربية العليا" بالتفاوض مع "لجنة بيل". وجاءت المفاوضات مخيبة لآمال الفلسطينيين بعدما أوصت بتقسيم فلسطين إلى دولتين: فلسطنية ويهودية.

إشتدت الثورة بين عامي 1937 و1938، لكن بريطانيا عملت على سحقها ونفي قياداتها، وزج الآلاف من المجاهدين في السجون، وتدمير القرى.

وفي إطار هذا الوضع المتفجر، استغلت المؤسسات الصهيونية الدعم البريطاني، وشرعت ببناء قدراتها العسكرية، ومهاجمة القرى الفلسطينية تحت غطاء بريطاني. عندها تفاقم الخلاف بين أعضاء "اللجنة العربية العليا" المنفيين إلى دمشق والقادة المحليين، ووقع الخلاف بين الفلسطينيين أنفسهم، أي بين الدعاة لإستمرار الثورة، والدعاة للتفاوض مع البريطانيين. أدى هذا الوضع المتأزم إلى نشر بريطانيا ما سمي "الكتاب الأبيض الجديد"، والذي جاء فيها ما يشدد على:

"الوفاء البريطاني تجاه فكرة الوطن القومي اليهودي، والسماح بالهجرة اليهودية خلال خمسة أعوام، بعدها تصبح الهجرة اليهودية خاضعة للموافقة العربية كي لا يحرم الفلسطينيون من أراضيهم، وإنشاء دولة موحدة مستقلة بعد عشر سنوات، مشروطة بعلاقات فلسطينية يهودية مؤاتية". هكذا وصلت الثورة إلى خواتيمها.

إستغل الصهاينة انشغال العالم بالحرب العالمية الثانية، فركزوا جهودهم على تكثيف الهجرة اليهودية إلى فلسطين، خاصة من دول الطوق العربية. ثم بدأت المنظمات الصهيونية بأعمالها الإرهابية

ضد العرب على يد بن غوريون، وشارون، وبيغن، وتهجيرهم من أرضهم ليحل محلهم اليهود الوافدون من كافة جهات العالم، وجمع شتاتهم في أرض الميعاد، وهو الأمر المقدس عند الصهاينة القائم على أسطورة دينية ما زال اليهود متمسكين بها حتى الساعة. فكانت النكبة الكبرى عام 1948 التي كرست إسرائيل خنجراً في قلب فلسطين والمنطقة العربية.

ثم جدد الإستعمار إحكام قبضته على المنطقة العربية مع انبعاث الحلم العربي الوحدوي على يد الرئيس جمال عبدالناصر بعد ثورة 23 يوليو 1952، وضمن معطيات جديدة، غدت مصر هدفا مباشرا للاستعمار والصهيونية في آن، خاصة بعدما سلم عبدالناصر مشروع بناء "السَّد العالي" للسوفيات على أثر تخلي الولايات المتحدة عن تنفيذ المشروع، وقام بكسر إحتكار السلاح ورفض المساعدات الإقتصادية من الغرب. ومما زاد من تفاقم الوضع أصدار عبدالناصر لقرار تأميم قناة السويس في تموز 1956. تحرك على أساسه الاستعمار الغربي على الفور، وعلى رأسه بريطانيا وفرنسا، وبالتعاون والتنسيق مع إسرائيل، لمواجهة قرارات عبدالناصر، فكان العدوان الثلاثي على مصر في 29 تشرين الأول من العام 1956. وقد أدى موقف الإتحاد السوفياتي الداعم لمصر في مجلس الأمن إلى فشل العدوان الثلاثي، وإنسحاب فرنسا وبريطانيا وإسرائيل بعد وقف المعركة، وإلى المزيد من التغلغل السوفياتي في المنطقة، ودعمه المباشر لحركات التحرر العربية. لقد شكل العدوان الثلاثي على مصر ثاني الحروب العربية بعد نكبة 1948، ومن أهم الأحداث العالمية في تحديد التوازن الدولي الجديد، وأفول نجم الاستعمار الأوروبي التقليدي، وتنامي التواجد الأمريكي والسوفياتي في المنطقة.

بعد تقلص الدور البريطاني والفرنسي في المنطقة على أثر العدوان الثلاثي، أصبحت الولايات المتحدة اللاعب الأكبر والأساس، والداعم الأول لإسرائيل، والساعي إلى عسكرتها، خاصة بعد إعلان "مبدأ إليزنهاور" الذي نص على مساعدة الدول الصغيرة ماليا واقتصاديا وإذا اقتضى الأمر، عسكريا. عندها تلاقت مصالح أمريكا في المنطقة ومصالح الكيان الإسرائيلي.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن العلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل تتعدى السطح السياسي إلى عمق ديني – ثقافي متجذر في وجدان ملايين الأمريكيين المسيحيين – اليهود الذين يشكلون اللوبي الصهيوني، والذين تعود أصولهم إلى الأصوليين "الطهريين (The Puritans)، الذين هاجروا إلى القارة الأمريكية من بريطانيا عام 1660 بعد هزيمة مشروعهم السياسي، حاملين معهم شريعتهم الموسوية في وجدانهم. وليس

مستغربا أن يجاهر وزير خارجية أمريكا كولن باول في عهد الرئيس جورج دبليو بوش بالقول في إحدى إطلالاته التلفزيونية: "أن أمريكا هي دولة مسيحية – يهودية".

حولت أمريكا إسرائيل إلى قاعدة عسكرية لها لحماية مصالحها في المنطقة، وللتصدي لتغلغل الإتحاد السوفياتي إلى المنطقة الذي كان يدعم بالسياسة والسلاح حركات التحرر العربية من أجل الحرية والاستقلال، ودحر الاستعمار ورأس حربته أمريكا. فأصبح من المسلمات أن يصبح أمن إسرائيل من أمن أمريكا، والعكس صحيح.

وبعد قيام ثورة 23 يوليو عام 1952 في مصر ووصول "الضباط الأحرار، إلى السلطة، ومن ثم تنامي فكرة القومية العربية، والوحدة العربية إبان الفترة الناصرية، بادرت أمريكا إلى تشجيع قيام الأحلاف المعادية للوحدة العربية، ومنها "حلف بغداد"، بين العراق، وإيران، وتركيا، وباكستان، للوقوف في وجه هذه الوحدة، وللتصدي لنفوذ الاتحاد السوفياتي والمد الشيوعي خلال الحرب الباردة بين الدولتين العظمتين.

شكلت "الوحدة السورية المصرية" حافزا للولايات المتحدة كي تضاعف جهودها للتفرقة في المنطقة، والحد من تنامي قوة عبدالناصر وتوجهه الوحدوي.

وعند قيام "ثورة 1958" في لبنان التي كان من أهدافها الرئيسية منع الرئيس كميل شمعون من الدخول في حلف بغداد، لم يتردد الرئيس شمعون، وإستناداً إلى "مبدأ أيزنهاور"، من استدعاء الأسطول السادس للنزول على الشواطئ اللبنانية لإحباط الثورة، ومنع لبنان من الانضمام إلى "الجمهورية العربية المتحدة".

نزلت القوات الأمريكية في بيروت ليس فقط لإحباط ثورة 1958، والحد من نفوذ عبدالناصر، ولكن خوفاً من دخول العراق في هذه الوحدة بعد الإنقلاب العسكري الذي قاده كل من عبدالسلام عارف وعبدالكريم قاسم ضد الملك فيصل الثاني، ورئيس الوزراء نوري السعيد.

وقد استطاعت الولايات المتحدة وصنيعتها إسرائيل من إضعاف عبدالناصر ووأد حلم الوحدة العربية، في حرب 1967 التي أدت إلى الهزيمة المدوية للجيوش العربية، بتخطيط أمريكي صهيوني، وتحالف عسكري استراتيجي يحفظ مصلحة الأثنين معا. فقد زودت الاستخبارات الأمريكية إسرائيل بالخرائط والوثائق السرية عن طريق "باخرة Liberty" التجسسية، وأمدتها بالأسلحة المدمرة والذخيرة، فكانت هزيمة العرب المدوية، والتي وعلى الرغم من فداحتها، ما زالت تسمى بالنكسة حتى يومنا الراهن.

وتبعتها حرب 1973، وانتصر فيها العرب، لكن الرئيس أنور السادات قبل بوقف إطلاق النار رغم النصر، قائلا:

"أني لا أستطيع محاربة أمريكا"، وذلك للدلالة على ضلوع الإستعمار الأمريكي وتورطه في حروب إسرائيل.

وبدءاً بالعام 1978، توالت الإجتياحات للبنان بحجة القضاء على المقاومة الفلسطينية والمقاومة الوطنية. وفي العام 1982، إجتاحت إسرائيل لبنان، وكانت بيروت أول عاصمة عربية تدنس ترابها إسرائيل. أدى الاجتياح، إضافة إلى الدمار الهائل الذي سببه على كافة الصعد، والانقسامات الطائفية التي نتجت عنه، إلى خروج القيادات الفلسطينية من لبنان إلى تونس. وقد اعترف الكسندر هيغ وزير خارجية أمريكا، بتورط الولايات المتحدة في إجتياح لبنان، مصرحاً:

"أن الحملة الإسرائيلية على لبنان كانت بتخطيط، وتمويل، وتسليح كامل من الإدارة الأمريكية". ما يؤكد تلازم المسارين الإستعماري والصهيوني.

إنسحبت إسرائيل من بيروت والمناطق، لكنها بقيت متمسكة بجنوب لبنان الذي تمَّ تحريره عام 2000 تحت ضغط من المقاومة الإسلامية والوطنية. وتلتها حرب تموز المدمرة بين حزب الله وإسرائيل، التي دامت أربعة وثلاثين يوما، وانتهت بإصدار القرار 1701 الذي نص على انتشار الجيش اللبناني في الجنوب، وتعزيز القوات الدولية، اليونيفيل، وخرج منها حزب الله منتصراً.

واليوم وبعد هجوم "طوفان الأقصى" في سبعة تشرين الأول 2023 الذين شنته حماس، يعود سيناريو تلازم المسارين بين الصهيونية والإستعمار بشدة وبعنف لم تشهد لهما المنطقة مثيلا من قبل. تعاود فيه إسرائيل تجديد العهد مع حليفها وصنيعها الإستعمار، خاصة الأمريكي بالذات، والذي تطوق بوارجه المنطقة العربية، عهد ممهور بدم أطفال ومدنيي غزة وجنوب لبنان، وسياسة الأرض المحروقة، والدمار الشامل للبشر والحجر، من قبل إسرائيل وحلفائها، هذه الدولة العنصرية، والإجرامية، والإستبعادية والكارهة للأغيار، والقائمة على جذر ديني، توراتي، تلمودي وأسطوري دموي، والتي يسعى من خلالها الإستعمار إبقاء العالم العربي في حالة من التشرذم والضعف، خاصة بعدما تسابقت معظم الدول العربية للتطبيع مع هذا الكيان المجرم، الذي تمادى في حربه الإبادية وما زال يمعن قتلا وتدميرا حتى الساعة.

وهكذا أستطاع الإستعمار والصهيونية حشر المنطقة العربية بين فكي كماشة أو بين سندان إسرائيل ومطرقة الإستعمار، إلى أجل قد يطول أو يقصر، والعلم في طيات الغيب، وذلك حسب ما يخططه الإستعمار وإسرائيل من رسم لخرائط جديدة تمعن في تفكيك وتفتيت المنطقة العربية على أسس دينية أو عرقية وإثنية، خدمة لإسرائيل وحماية لمصالحها، وعلى قيام سايكس – بيكو جديد، بأسماء جديدة ولاعبين جدد.

- **ورقة «الأقليات» في سوريا... ما لها وما عليها - إياد أبو شقرا – جريدة الشرق الاوسط 2025/1/5**

في ما يخصّني، أنا لست ممّن يستسيغون الإفراط في استخدام كلمة «الأقليات»، ناهيك من استغلالها والذهاب بعيداً في جعلها إزميلاً لإعادة نحت الكيانات وتصويرها وفق رغبات الآخرين ومصالحهم.

إلا أن التاريخ السياسي، على امتداد العالم، علّمنا مخاطر الاستخفاف بمخاوف المكوّنات الصغيرة أو المغبونة (فئوياً وجندرياً) أو تجاهلها. فهذا الأمر ولّد، في حالات كثيرة، الذريعة الجاهزة للتدخل الأجنبي، وشكّل إما مقدمة الاحتلالات أو الاستعمارات أو «الحِمايات»، وإما أسهم إسهاماً مدمّراً في تمزيق كيانات وإعادة رسم حدودها اعتباطياً... فوزّع شعباً واحداً على عدّة دول مستحدثة، وحكم عليها بعقود -وأحياناً بقرون- من الحروب الأهلية والفِتن الانفصالية.

الكيانات الفضفاضة الضخمة نشأت -كما تعلّمنا- من تجمّع قبائل وكيانات صغيرة بقوة الغزو والإخضاع والهيمنة، ولم تظهر ما باتت تعرف بـ«الدول القومية» إلا إبّان القرن الميلادي التاسع عشر في أوروبا. بل، حتى في أوروبا ذاتها، أخفق اعتماد الحُكم الديمقراطي البرلماني في حل إشكالية «الحالة الانفصالية» التي عرّفها علماء السياسة والاجتماع بـ«الإيريدنتسية.«

وراهناً، مع صعود قوى اليمين المتطرّف وتحالفها في بعض الدول مثل إيطاليا مع حركات انفصالية أو انعزالية، تجد ديمقراطيات أوروبية عريقة نفسها مهدّدة في صميم هويتها، بعدما بدا كأن صفحة الهوية قد طويت إلى الأبد. وفي دول غربية كبرى، كانت في حقبة ما إمبراطوريات مترامية الأطراف كبريطانيا وألمانيا وإسبانيا، أسقط «التفاعل» بين عاملَي الانعزالية والهجرة التفاهمات العريضة حول الهوية الوطنية الجامعة.

في آسيا وأفريقيا لا تختلف الصورة كثيراً، وإن بدا العكس صحيحاً...

أمامنا حالات شعوب كبيرة وعريقة، مثل أمازيغ شمال أفريقيا، وبلوش شبه القارة الهندية وأفغانستان وإيران، وعرب تركيا وإيران، وعموم أكراد الشرق الأدنى، والفولاني في أصقاع الساحل وجنوب الصحراء الكبرى من السنغال إلى تشاد والكاميرون. كل هؤلاء وغيرهم -مثل أهلنا الفلسطينيين العرب الذين اقتلعهم المشروع الإسرائيلي- شعوب وجماعات مزّق وحدتها الاستعمار وشتتها، فوزّعها على العديد من الكيانات المستحدثة أو جعلها جاليات مهاجرة في عموم العالم... مولداً بذا أزمات وحركات انفصالية أسهمت في إعادة تعريف القضايا السياسية الإقليمية والدولية.

موضوع «الأقليات» -ومعه موضوع حقوق المرأة- كان منذ إسقاط النظام الأسدي، جزءاً مهماً من تعامل المجتمع الدولي مع القيادة الجديدة في دمشق. وبطبيعة الحال، ما كان هذا النوع من التعامل مُرحّباً به في عدد من الأوساط السورية والعربية، التي وجدت فيه نوعاً من الإملاءات التي تنتقص من سيادة سوريا وتشكك بقدرة السوريين على التفاهم... ومن ثم التعايش وبناء دولة متقدمة يستحقها شعب من أعرق شعوب العالم وأغناها حضارة.

والحقيقة، أن كلاً من الجهات المتضايقة ممّا تعده «تعاملاً فوقياً غربياً»، والجهات الأخرى الراضية بإخضاع تجربة إعادة تأهيل «سوريا ما بعد الأسد»... محِقّة إزاء عدد من الاعتبارات.

بالنسبة للجهات المتضايقة، أقول إن أي شعب، مثل الشعب السوري، ناضل وبذل الغالي والرخيص للتحرّر من نير طغيان دموي طال لأكثر من نصف قرن، يحق له الاستمتاع بحريته وسيادته بعد الخلاص المكلف. وهو، بلا شك، يستحقّ أن يقرّر مستقبله بنفسه بعد عقود صادر خلالها حرية خياراته «تقاطُع مصالح» فرضته عليه حسابات الجغرافيا، وتوازنات القوى والمصالح الاستراتيجية ... الإقليمية والدولية.

وفي المقابل، بما يخصّ الجهات التي تتقبّل اشتراطات «إعادة التأهيل»، فإنها -عند عدد من المفاصل- محقة فيما تذهب إليه.

إنها محقة، ولكن من دون أن تعطي تفويضاً مطلقاً لـ«النيات الدولية الطيبة» التي طالما طالب بها السوريون طوال نضالهم البطولي ولم يحصلوا عليها، عندما كانوا يتعرّضون للقمع والتعذيب والتهجير

والقتل بالغازات السامة والبراميل المتفجرة. أما السبب، فهو أن إدارة الحكم الجديدة ما زالت في بداياتها، وثمة فارق كبير بين مهمات النضال المسلح من جهة وأصول بناء مؤسسات السلطة وإعداد الأرضية الصالحة لبناء «دولة المواطَنة» من جهة ثانية.

»البيئة» الثورية التحريرية في إدلب كانت لها مقوّماتها ومستلزماتها، والحمد لله، نجحت في أداء الواجب التحريري عبر طليعتها المسلحة. إلا أننا الآن أمام مشهد أرحب ذي تحدّيات صعبة ومتشابكة. والمطلوب الآن الترجمة على الأرض للشعار الجامع الذي صدحت به حناجر السوريين في كل الساحات، من القامشلي إلى درعا ومن اللاذقية إلى دير الزور ... «الشعب السوري واحد... واحد... واحد... واحد.«!

المسألة هنا ليست في «أن للانتصار مائة أب»، بل في أن تكون «سوريا المستقبل» وطناً لشعب لا مزرعة لطغمة.

أن تكون وطناً للجميع، لا فضل فيه لسوري على الآخر إلا بالمواطَنة والاحترام المتبادل... فوق فوارق الدين والمذهب والعرق و«الجندر» والجهة.

أيضاً، مرحلة طي الصفحة السوداء للطغيان لا بد أن تقوم على المحاسبة. ولا بد من أن تتولّى المحاسبة جهات ذات أهلية قانونية ودستورية، لا محاكم ميدانية تقف خلفها -كما شاهدنا في العراق الشقيق بعد الغزو الأميركي- غايات «اجتثاثية» انتقامية... قضت باسم العدالة المزعومة على الصالح والطالح معاً.

وأخيراً، سوريا الجديدة الحرة تنتقل اليوم من وضع «الإقطاع الأمني البوليسي» إلى «الدولة المؤسساتية» التي هي جزء من المجتمع الدولي. وهذا يفترض بقيادتها الجديدة «تعريف» مصلحتها السياسية في التعامل مع لاعبين إقليميين وكبار يستحيل إغفال تأثيرهم وأدوارهم السياسية والاقتصادية والأمنية.

...فحذار حذار نسيان أن السياسة هي «فن الممكن!«

- **في أي إقليم ملتهب نعيش؟ - إبراهيم عوض - جريدة الشروق – 2025/1/4**

السؤال هو عن سمات الإقليم الذى تعيش فيه مصر. الإقليم المقصود فى هذا المقال هو ذلك الذى تلتهب فيه الصراعات منذ قرن مضى وبؤرته فى فلسطين، وفى سوريا والعراق ولبنان. مصر طرف فى هذا الإقليم تاريخيا، مصر القديمة ومصر الإسلامية، وفى العصر الحديث هى ارتبطت به سياسيا وثقافيا، فى الحرب والسلم، منذ الربع الثانى من القرن التاسع عشر. والسؤال هو كذلك عن الفاعلين فى هذا الإقليم، من داخله ومن خارجه، ثم هو أيضا سؤال قديم عما إذا كان الإقليم عربيا أم شرق أوسطيا. الرد على هذه الأسئلة يستدعى سؤالاً جوهريا إضافيا وهو ما عسانا نفعل فى الوقت الحالى لكى ننشئ نظاماً للعلاقات فى الإقليم يكفل له الاستقرار لفترة معقولة من الزمن، استقرارا يوفر السلم والأمن، ويسمح بالبناء والتنمية، للأطراف الواقعة فيه. المناسبة فى التساؤل تفاعل المأساة المحيقة بغزة منذ خمسة عشر شهرا، والتى امتدت إلى لبنان منذ شهر سبتمبر الفائت، مع التغير المفاجئ الجذرى فى سوريا فى الشهر الماضى.

• • •

أول سمات الإقليم هو التعدد الموجود فيه. لا يختلف الإقليم فى ذلك عن أقاليم العالم الأخرى، وإن كان للتعدد فيه خصائصه فضلاً عن أن التمايزات الداخلية فيه أكثر منها فى أقاليم العالم الأخرى. يضرب المثل بلبنان على أن فيه ثمانى عشرة طائفة دينية وعرقية معترفا بها فى النظام السياسى اللبنانى. النظام السياسى فى العراق بعد الغزو الأمريكى فى سنة 2003 اقتبس من لبنان فاعترف بالتعدد الدينى والعرقى الموجود فيه وجعله أساسا له. التعدد شبيه فى سوريا، ومن نفس الطوائف تقريبا وإن كان بنسب متفاوتة، وإن لم يعترف به وبها رسميا النظام السياسى السورى منذ الاستقلال وحتى اللحظة. التعدد موجود فى الأردن أيضا وفى فلسطين.

فى الإقليم عرب وأكراد وتركمان وأرمن وشيشان؛ ومسلمون، سنة وشيعة وإسماعيلية ودروز؛ ومسيحيون، موارنة وروم أرثوذوكس وبروتستانت إنجيليون وكاثوليك مالكيون وكلدانيون وسريان وأرمن أرثوذوكس وأرمن كاثوليك؛ وعلويون؛ ويزيديون؛ ويهود. فى مصر، التعدد محدود فى ديانيتين، الإسلام والمسيحية، والطوائف فى هذه الأخيرة صغيرة لا تستطيع أن تزاحم على المكانة الأغلبية القطبية الأرثوذوكسية. العرق واحد تقريبا وإن دخلت إليه روافد بشكل طبيعى من هنا أو هناك. العرق النوبى صغير لا يمكن اعتبار تمايزه ناشئا عن أى شق معتبر فى جسم المجتمع.

التعددُ تنوعٌ وهو ثراءٌ لأى مجتمع. فى الإقليم التعدد فخر له فهو بينة على استيعابه التاريخى لمكوناته المتباينة. الدولة الوطنية فى أقاليم العالم المختلفة منسوبة للمجموعة القومية أو العرقية الأكبر حجما كما هى الحال فى رومانيا والمجر وبولندا مثلاً الناشئة بعد سقوط الإمبراطورية النمساوية المجرية بنهاية الحرب العالمية الأولى والمنسوبة للقوميات الرومانية والمجرية والبولندية على الرغم من وجود أقليات عرقية فيها، أو أقليات دينية. على نفس المنوال، فى إقليمنا الدولة الوطنية هى دولة عربية لأن أغلبية سكانها من العرب. المشكلة فى إقليمنا هو أنه لترسيخ الدولة الوطنية لجأ حكامها إلى القوة للتغلب على التمايزات السياسية

ومعها الاقتصادية الاجتماعية فيها. النتيجة هى أنه بدلا من ترسيخ الدولة برزت التمايزات الطائفية والعرقية فيها. لا توجد مجتمعات مسطحة ملساء.

• • •

الفاعلون من الإقليم فى عشرات السنين الأخيرة هم الدول الناشئة عن انهيار الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى لمجموعات من السكان، وهى سوريا ولبنان والأردن والعراق، فضلاً عن مصر التى سلكت طريقا مختلفا لتكوُّن الدولة الحديثة فيها. إلى جانب هذه الدول الوريثة للدولة العثمانية، أرست الحركة الصهيونية أسس إسرائيل ثم أنشأتها كدولة حارمة سكان فلسطين من أن ينشئوا دولتهم على غرار الدول التى نشأت للعراقيين والسوريين والأردنيين واللبنانيين. بعد حروب عربية إسرائيلية وحروب أهلية ممتدة، صار الفاعلون فى الإقليم فى الوقت الحالى أولاً هم هذه الدول العربية ومعها مصر، بالإضافة إلى إسرائيل.

ومن الإقليم أيضا فاعلون من دون الدولة. من هؤلاء فاعل استولى على السلطة فى سوريا فى ديسمبر الماضى وليس واضحا بعد إن كان قد أصبح الدولة بلا منازع أم فاعلاً إلى جانبها، بالإضافة إلى فاعلين آخرين فى الجنوب والشمال الشرقى وفى غيرهما. فى لبنان، حتى بعد كسر شوكة حزب الله، فاعلون طائفيون سياسيون ينافسون الدولة الضعيفة تاريخيا نتيجةً لتأسيسها على التمايزات الطائفية. العراق يحاول الانبلاج من سنواته السوداء وإن كان فاعلون محليون مازالوا ينافسون الدولة فيه على اتخاذ القرار السياسى.

إسرائيل فاعل أساسى فى الإقليم فها هى وقد دمرت غزة، وقتلت وأصابت عشرات الآلاف من أبناء الشعب الفلسطينى وما تزال. وإسرائيل عاثت فى لبنان فسادا، قذفت عاصمته وجنوبه وشماله وفجرت ما فجرت وقتلت من قتلت من مواطنيه، وتوغلت فى جنوبه واستولت على أرض فيه. الشىء نفسه فعلته فى سوريا حيث احتلت جبل الشيخ الاستراتيجى ودمرت طيرانها وبحريتها ومعدات جيشها وأسلحته. كبح جماح إسرائيل يستدعى التعامل معها كفاعل فى الإقليم.

فاعلان آخران من الإقليم هما تركيا وإيران. الرياح فى شراع تركيا فى الوقت الحالى. سواء كانت قد شجعت هيئة تحرير الشام على الزحف على دمشق أو ساعدتها فإن تركيا مستفيدة من استيلاء الهيئة على الحكم فى سوريا. هذا الاستيلاء يفيدها داخليا فهو يمكنها من الحديث عن عودة اللاجئين السوريين فيها حتى وإن لم يعد أغلبهم فعلاً، وهو يسمح لها بالتعامل مع الأكراد الذين تعتبر نشاطهم مسألة وجودية. أما إيران فإن تأثيرها كفاعل فى الإقليم قد تراجع بعد الضربات التى أنزلتها إسرائيل بحزب الله ثم بسقوط نظام الأسد فى دمشق، ومن قبل ذلك بما فعلته إسرائيل بغزة وحماس. الحوثيون وهم وسيلة الدفاع المتقدمة الثالثة لإيران يتعرضون هم أيضا للضربات. ومع ذلك ستبقى إيران فاعلاً فى الإقليم لعلاقاتها بالعراق، وبالخليج، ولأن إسرائيل تراها كذلك. إسرائيل تعتبر أن القدرات النووية الإيرانية، سلمية كانت أو عسكرية، تهدد هيمنتها وفرض إرادتها فى الإقليم.

• • •

الرد على سؤال ما إذا كان الإقليم عربيا أو شرق أوسطيا أصبح يسيرا. أغلبية الفاعلين فيه دول عربية والبيئة المحيطة به عربية فى الخليج والمغرب العربى، والإقليم مع هذه البيئة يشكل إقليما عربيا أوسع لا بد من ترسيخه وإن كان على أسس غير تلك التى درج عليها حتى الآن. إلا أنه وعلى الرغم من سخف مفهوم الشرق الأوسط وسيولته، فلأنه لا يوجد غيره، نركن إليه ونستخدمه لأن تركيا وإيران وكذلك إسرائيل تتفاعل مع الأطراف العربية فى الإقليم سواء كان هذا التفاعل إيجابيا أو سلبيا. الفاعلون الخارجيون أولهم الولايات المتحدة لأسباب لا ضرورة لتفسيرها هنا وأولها مساندتها المطلقة لإسرائيل فضلاً عن علاقاتها بدول الإقليم الملتهب وببيئته. روسيا فاعل خارجى آخر جار للإقليم وذو علاقات ممتدة معه فى العقود الثمانية الماضية على عهد الاتحاد السوفيتى ثم بعد تفككه. الاتحاد الأوروبى فاعل يعتد به أيضا بمقتضى علاقاته فى الإقليم ولجيرة بعض الدول الأعضاء فيه التى كانت ملجأً للفارين من صراعاته.

أما عن ماذا عسانا نفعل، فهو يبدأ بأن تنظم كل دولة عربية أحوالها وأن تعيد إنشاء نظامها السياسى على أسس المساواة فى الحقوق والواجبات، وعدم التمييز، وحريات المواطنات والمواطنين فى التعبير وفى التجمع وفى تمثيل أنفسهم ومصالحهم. هذا هو السبيل لترسيخ الدولة الوطنية والتغلب على التمايزات العرقية والطائفية دون حاجة لممارسة العنف لكبتها. التصدى للتمايزات السياسية والاقتصادية الاجتماعية يكون بالأخذ والعطاء وبالحلول الوسط وليس بممارسة القوة والعنف والسلطوية. بناء الأنظمة السياسية على نفس الأسس يكفل نشأة علاقات تعاونية بينها واستمراريتها. هذه العلاقات التعاونية زاد لمصر ولغيرها من الأطراف العربية عندما تتحرك ضمن مفهوم الشرق الأوسط. النظام السياسى الفلسطينى ينبغى إعادة بنائه هو الآخر بمساعدة من الدول العربية ولكن على أن تكف عن التداخل فيه كما فعلت فى العقود الماضية.

على مستوى الشرق الأوسط وبمشاركة الفاعلين الإقليميين وغير الإقليميين المذكورين أعلاه، أول الواجبات هو التوصل إلى تسوية للقضية الفلسطينية تكفل للشعب الفلسطينى الحماية والبقاء، بعد ما تعرض له من تعمد الإبادة، وممارسة حق تقرير المصير. التشديد على هذه التسوية ليس لغوا. بدون هذه التسوية ستبقى القضية الفلسطينية مصدرا للاضطراب وعدم الاستقرار. فرض ترتيبات بالقوة أو بالتحايل على الشعب الفلسطينى ليس التسوية المقصودة، وهو نقيض لمصلحة الإقليم ودوله. تنظيم العلاقات بين دول الإقليم العربية وغير العربية والتعاون بينها مهمة أخرى للفاعلين المعنيين بالشرق الأوسط. والقدرات النووية السلمية والعسكرية لإيران ولإسرائيل ليست موضوعا يهمهما وحدهما ومعهما الدول الكبرى. هذا موضوع للشرق الأوسط برمته. إن تصرفت إسرائيل على أنها منتصرة فإنه لا أمان ولا استقرار لها ولا للإقليم. يبدو تنظيم العلاقات فى الشرق الأوسط محتاجا إلى مؤتمر شبيه بمؤتمر الأمن والتعاون فى أوروبا المنعقد فى هلسنكى فى سنة 1975. يمكن دعوة فاعلين إضافيين مثل الصين والاتحاد الإفريقى لحضور المؤتمر، وإلا فتعرض مخرجاته على الجمعية العامة للأمم التحدة ليعتمدها ممثلو المجتمع الدولى.

قد تكمن فى مأساة غزة ولبنان وفى التغيير فى سوريا فرص للخلاص. لعل الفاعلين فى الإقليم وخارجه يغتنمونها حتى يجنبوه مزيدا من الالتهاب.

أستاذ السياسات العامة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة

نافذة على فكر كمال جنبلاط:

مواقف وأراء:

- **القضية قضية موت أو حياة**

إن المرحلة الخطيرة الحالية التي نجتازها ويجتازها العالم والتي تتمخض عنها أوضاع المستقبل القريب والبعيد وكأننا على أبواب حدث في المدنية كبير النتائج وتحول هائل أصبح من الخيانة على كل فرد وكل جماعة وكأنه لا يضطلع بمسؤوليته الإنسانية الكاملة ويعلن أنه مع التطور أو ضد التطور مع الحياة أو في التيار الذي يتعاكس مع الحياة مع الحرية والوعي المتزايد الذي لا يكتمل في الواقع بالتهرب من الحياة ومن العمل بل بالانسجام مع الجماعة والبشرية وبالانتظام فيها كعضو فعال تحت تأثير قوى التقارب والتضحية ومع التعلق برجعية ما علينا أن نقبل بالتطور وبمستلزماته العملية الشاملة وأن نتفهم أهداف تطور الآلة وتطور العنصر البشري وأن ندخل بحرية في سياق هذا التطور مزودين بالمعرفة وبالإرادة وبالمحبة الجامعة فنهدم ما نتردد اليوم بهدمه أي النظام البرجوازي الرأسمالي المحتضر ونبني بيت الجماعة أي البيت الذي تسكنه السعادة البشرية وإلا سيخلق التطور في أخذ اتجاهاته وستخلق الآلة مجتمعا ودولة على شاكلته وشاكلتها هي أشبه بخلايا النحل منها بمجتمع بشري علينا أن ندرك ونتنبه إلى دقة وعظمة هذا الاختيار ونعي خطورة وقيمة قوى التطور والحياة التي سلمت إلينا مقاليدها فترة من الزمن وهي فرصة من السانحات النادرات في تاريخ وتطور العنصر البشري وقد تمر ولن يعود مثلها لوقت طويل.

(المرجع : كتابه" رسالة العدالة الإنسانية" صفحة 60)

- أقولها لكم بكل صراحة

إن ما أدعوكم إليه أن تكونوا أبطالاً لا أقزاماً من جماعات الخوف الباكين النائحين على ذواتهم، على الماضي ، على المصالح، على الأمجاد ،على انهزام الذات، على مصير الطائفية في لبنان وفي الشرق ، على مصير الرجعية ومصير الرأسمالية المجرمة المهترئة. أناشدكم الحياة أن لا يكون بعضكم من اللاواثقين من كل شيء من شعوبهم من بلادهم من نفوسهم ومن حقيقتهم أقولها لكم حقاً وبصراحة إن المفكر أو المثقف الذي لا يشعر في أعماقه بنداء القيادة وبواجب القيادة وبضرورة إذلال النفس الأنانية وتجريحها وإيلامها لترويضها على القيادة إن المثقف الذي يمضي ولو جزءاً من حياته اليومية في التلهي وفي التخيل العاطفي الضيق المنعزل كمن ينشد حب ليله ونهجه ويرتوي عاطفياً لا أكثر بأحلام بونابورت إن هذا الرجل مريض في نفسه وفي شعوره وفي أحلامه هو مواطن يحدب وإنسان عاق وشخصية هزيلة وهو بالتالي لا يستحق حرية القول ولا حرية النشر لأنه لم يبرر حقه في الحياة وفي الصيرورة وفي الوجود إن العامل الذي لا يتحسس بروح التمرد النازعة إلى هدم صرح الظلم والرجعية

والجهل والبؤس وتشييد أنظمة العدل والتضامنية والأخوة التامة والديمقراطية الصحيحة إن هذا العامل الذي لا يدرك أن عليه أن يبني العالم الجديد سيبقى عبداً أجوف تتقاذفه المصالح وشتى الاستغلالات يشترى ويباع في سوق النخاسين نعساً له وبؤساً إن كل ما أخاطبه وأدعوه إلى التحرك والعمل لتحقيق التغيير لم ولن يكون من هؤلاء.

(المرجع: كتابه "رسالة العدالة الإنسانية" صفحة 81)

- من أقواله:

- من نحن؟

نحن تشابك الاتجاهات الكبرى للتطور: الوعي والحرية والاجتماعية، وتكوّر الكون التي تعمل وتتفاعل في صميم حياة الكون، فتدفع بالإنسان وبالجماعات وبالعنصر البشري باتجاه تحقيقها المحتوم وتطورها الكامل. نحن تركيز هذه الاتجاهات الكبرى للتيار الحي وإبراز مفاعيله في وضع استقراري تقدمي.
نحن هذه المحاولة الجامعة والتجربة الإجماعية التي توفق في قالب ووضع تقدمي منسجم بين المبتكرات والنظم الصحيحة في الأوضاع الاجتماعية الجماعية التي تؤمن للمنتج والمستهلك والعامل طمأنينة العيش وشرف الخدمة وشرف الحياة وبين الأنظمة الغربية التي تضمن للمواطن الحرية الشخصية الأساسية. نحن نتبنى الإختبار البشري على إطلاقه. نحن ثورة دائمة مستمرة ومتحولة على الدهر ونحن إنسجام فيها وانصهار في صيرورتها. نحن مركز التطور ومحور التطور وبذرة التطور في المدنية الحديثة وفي المجتمع التقني الحديث. نحن ملح العهد الجديد الملح الصالح الذي تبنته هذه البقعة المقدسة من الشرق.

(المرجع: كتابه "رسالة العدالة الاجتماعية" صفحة 141)

- **مستقبل الإشتراكية في لبنان**

إن التقدمية الإشتراكية هي وحدها درب الخلاص التي يجب أن ينهجها لبنان ليخرج من الدوامة الخانقة التي يعاني منها منذ عشرات السنين ولمن يقول إن لبنان ليس مؤهلاً لأن يكون إشتراكياً نرد نحن نعتقد أن لبنان تتوفر فيه جميع العناصر الإجتماعية والاقتصادية والسياسية لكي يكون يوماً من الأيام بلداً إشتراكياً ولعل الواقع الاقتصادي هو ذاته يفرض علينا هذا الاتجاه خاصة بعد أن تعرفنا عليه من خلال الأبحاث التي تناولت تطور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في لبنان وبعد أن أظهرت لنا أبحاث لوبريه وغيره من كبار الإختصاصيين أن 75% من اللبنانيين يعيشون بمستوى المناطق المتخلفة جداً في العالم.
والناظر اليوم إلى تطور الحركات الشعبية في لبنان يرى بوضوح بوادر الثورة التي ستكون هذه المرة ثورة اجتماعية وستكون ثورة عنفية جداً إذا لم يعرف أغنياؤنا وأرباب مصانعنا وأصحاب الرساميل منها كيف يتدبرون الأمور قبل أن تقع في يوم من الأيام الكارثة وإذا لم تعرف الدولة

أيضاً كيف تطور لبنان بهدوء وحزم وعدالة وتدفعه نحو النظام التقدمي الاشتراكي الذي ندعو إليه ونعتقد عن حق أنه المطاف الأخير والنهاية المباركة حيث تبرز وتنتشر مفاهيم الأخوة والمساواة والعدالة والتضامن الإنساني إن تطبيق الاشتراكية في لبنان سواء أتى بصورة انقلابية مباشرة أم بطريقة تدريجية، فالنهج .المهم أن تحقق أهداف الاشتراكية في لبنان لأنها مطلب أساسي لوجودنا . (المرجع: كتابه "رسالة العدالة الإنسانية" صفحة 230)

- مطالب مشاريع إصلاحية: مشروع تعزيز الأخلاق العامة

إن العلمنة التي تؤمن بها هي غير العلمنة على الطريقة الغربية أو على الطريقة الشرقية الشيوعية .

قلنا ونكرر القول إننا نطالب بإلغاء الطائفية السياسية بشكل كامل من الدستور ومن كافة القوانين ونعني بذلك فصل الدين عن الدولة مع بقاء الدولة ملتزمة بمبادئ الأخلاق لأن الأخلاق هي شريعة الإنسان وإنما وجدت لكي تستكمل بواسطة القوانين ، تنفيذ الوصايا العشر التي تنص عليها جميع الكتب المقدسة وبهذا نطالب عمليا بإلغاء الطائفية السياسية لأننا نعتبر الدين أسّ جوهري في قيام الجماعة وفي توجبه أخلاق العامة وفي التربية ولكننا نميز بين التعصب الديني وبين جوهر الدين وضرورة اقتباس هذا الجوهر وقد رأينا إبان الأحداث أن محنتنا الكبرى كانت ناجمة عن التصرفات الشاذة للأجيال الجديدة والاستهدار بقيم الأخلاق ولذلك نرى:

- أولا: وجوب تطهير الملاهي والسينما والتلفزيون والإعلام والصحافة من كل ما من شأنه أن يضرب الأخلاق العامة أو الإنفلات من قيود الأخلاق عن طريق إيقاظ غرائز الإنسان للجنس والنزعة العدوانية العنفية.
- ثانيا: وجوب تشجيع التعليم الديني في جميع المدارس وجعل هذا التعليم في متناول الجميع لأن مهمة الدين الأساسية هي دعم الأخلاق العامة والتهذيب الأخلاقي بما يفرضه الدين من ثواب وعقاب في هذه الدنيا وفي الآخرة لمن يفعلون الخير.
- ثالثا : وجوب إضافة الدراسات في الصحة العامة وعناية الإنسان بجسده وبراحته الجسدية والفكرية في المرحلة الثانوية.
- رابعا: جعل دراسة مادة الأخلاق إجبارية في جميع المدارس وجعلها مادة امتحان اساسية.

(المرجع: من كتابه "رسالة العدالة الإنسانية" 191)

- **علوم وتكنولوجيا: الاستثمار في التعليم الإلكترونيّ يشهد تراجعاً حادّاً مع صعود الذكاء الاصطناعيّ – جريدة النهار – 2025/1/1**

انخفض الاستثمار العالمي في شركات التعليم الإلكتروني إلى أدنى مستوى له في عقد من الزمن، مع تعرّض هذا القطاع لضغوط متزايدة نتيجة الظهور السريع لأدوات الذكاء الاصطناعي التوليدي المجانية التي باتت تتفوّق على المنتجات المدفوعة التي تقدّمها الشركات. ووفقاً لبيانات"PitchBook" ، حصلت شركات التعليم الإلكتروني على استثمارات بقيمة 3 مليارات دولار فقط في عام 2024، مقارنة بذروة بلغت 17.3 مليار دولار في عام 2021 خلال جائحة كورونا. هذا الرقم هو الأدنى منذ عام 2014، حين استقطبت هذه الشركات 2.3 مليارى دولار.

تحدّيات ما بعد الجائحة وصعود الذكاء الاصطناعيّ

تعود أسباب هذا التراجع الكبير إلى الصعوبات التي تواجهها شركات التعليم الإلكتروني في الحفاظ على نمو قاعدة المستخدمين بعد انتهاء حالة الطوارئ المرتبطة بكوفيد-19. وقد ازدادت التحديات مع التطوّر السريع للذكاء الاصطناعي التوليدي خلال العامين الماضيين، ما أثّر على الطلب على أدوات التعلّم المدفوعة عبر الإنترنت وأدّى إلى انخفاض قيم هذه الشركات السوقية.

وأشارت صباح باكسموسا، مديرة تطوير الأعمال في منصّة ريادة الأعمال"OneValley" ، إلى أنّ هذه الشركات كانت تعد بسدّ الفجوة المهارية، لكنّ المستثمرين والطلاب يشعرون بأنّها لم تفِ بهذه الوعود بشكل كامل.

ازدهار استثمارات الذكاء الاصطناعيّ

في المقابل، شهد الاستثمار في الذكاء الاصطناعيّ التوليدي ازدهارًا هائلًا، حيث بلغ حجم الاستثمار في هذا المجال 51.4 مليار دولار في 2024 مقارنة بـ16.5 مليار دولار في 2021. تعرضت شركة"Chegg" ، وهي شركة تعليم إلكتروني مقرها كاليفورنيا، لضربة قوية بعد إطلاق "أوبن إيه آي" لتطبيق "شات جي بي تي" ، ما أدّى إلى انخفاض أسهمها بشكل حادّ. استمرّت الشركة في مواجهة التحديات وأعلنت في تشرين الثاني (نوفمبر) 2024 عن خفض 21% من قوتها العاملة بعد سلسلة من التسريحات السابقة. وتراجعت أعداد المشتركين لديها بنسبة 13% خلال الربع الثالث، ما أدّى إلى انخفاض أسهمها بنسبة 84% هذا العام.

وبينما تحاول "Chegg" التكيّف مع الوضع الجديد، أشار مديرها التنفيذي ناثان شولتز إلى أنّ الطلاب يميلون لاستخدام الذكاء الاصطناعيّ للحصول على إجابات سريعة بدلاً من بناء مهارات التفكير النقديّ، ما يؤثّر سلبًا على فهمهم على المدى الطويل.

شركات تعليمية تتأقلم وأخرى تواجه المصاعب

واجهت منصات مثل "Coursera" و "Udemy"انخفاضاً حاداً في أسهمها بنسبة 56% و43% على التوالي هذا العام. لكن بعض الشركات، مثل تطبيق تعلم اللغات"Duolingo" ، تمكنت من تحقيق نجاحات، حيث ارتفعت أسهمها بنحو 60% نتيجة زيادة عدد المستخدمين والمشتركين بفضل ميزات جديدة مدعومة بالذكاء الاصطناعي.

وفي الوقت نفسه، عززت شركات مثل "أوبن إيه آي" و"غوغل" من عروضها التعليمية. أطلقت "أوبن إيه آي" تطبيق"ChatGPT Edu" ، بينما طوّرت "غوغل" نماذج "LearnLM" المصمّمة خصيصاً للبيئات التعليمية. تسعى شركات التعليم الإلكتروني الآن إلى دمج الذكاء الاصطناعي في منتجاتها لتعزيز خدماتها.

مستقبل التعليم الإلكترونيّ في ظلّ الذكاء الاصطناعيّ
مع ذلك، هناك شكوك واسعة داخل قطاع التعليم حول ما إذا كانت هذه التغيرات ستساعد شركات التعليم الإلكتروني على تحسين أوضاعها. أشار خبراء إلى التحديات الكبيرة المرتبطة بنماذج الذكاء الاصطناعي، بما في ذلك التكاليف العالية، والتحيّز، والمخاوف المتعلقة بالخصوصية والأمان.

وقالت آنّي تشيشيتيللي، كبيرة مسؤولي المنتجات في شركة"Turnitin" ، إن الشركة قدّمت أدوات للكشف عن النصوص التي يولّدها الذكاء الاصطناعي كجزء من خدماتها، لكنّها أشارت إلى التحديات المستمرّة في مواجهة الابتكارات الطلابية للالتفاف على هذه الأنظمة.

في نهاية المطاف، يرى خبراء أنّ شركات التعليم الإلكتروني تواجه مشكلة أساسية في عدم قدرتها على فهم المجال التعليمي بشكل كامل، حيث تركّز معظم هذه الشركات على الجانب التقني والاقتصادي دون إشراك كاف للممارسين في مجال التعليم. هذا الانفصال قد يفسّر العجز عن تحقيق تقدم حقيقي في تطوير طرق التعلُّم.

- **صحة وغذاء: الوجبات السريعة والسمنة: طريق مختصر للاكتئاب! – جريدة الجمهورية – 2025/1/4**

تكشف دراسة حديثة ارتباطاً مقلقاً بين استهلاك الوجبات السريعة وزيادة خطر الإصابة بالاكتئاب.
واستندت الدراسة إلى بيانات مسح الصحة والتغذية الوطني الأميركي (NHANES) بين عامَي 2008 و2018، وشملت أكثر من 31 ألف مشارك لتحليل تأثير السمنة على العلاقة بين تناول الوجبات السريعة والاكتئاب.

من بين 31,460 مشاركاً، أظهر 2871 منهم علامات الاكتئاب، بمتوسط عمر 48,2 عاماً. وأوضحت النتائج أنّ تناول وجبة إضافية من الوجبات السريعة أسبوعياً يَزيد خطر الاكتئاب بنسبة 4%.
أمّا الذين يستهلكون أكثر من وجبتَين أسبوعياً، فارتفع لديهم الخطر بنسبة 24%. وأكّد التحليل أنّ العلاقة بين مؤشر كتلة الجسم (BMI) والاكتئاب تتفاقم مع زيادة تناول الوجبات السريعة، خصوصاً لدى المصابين بالسمنة.
هل تلعب السمنة دوراً رئيساً؟
أظهرت الدراسة أنّ السمنة تسهم بنسبة 6,5% فقط في التأثير السلبي للوجبات السريعة على الاكتئاب. أمّا الأشخاص الذين يعانون من زيادة الوزن من دون سمنة مفرطة، فلم يظهر تأثير كبير للسمنة كعامل وسيط. ومع ذلك، كان التأثير أكثر حدّة لدى من لديهم مؤشر كتلة جسم (BMI) مرتفع.
ما الذي يجعل الوجبات السريعة ضارّة؟
الوجبات السريعة غنية بالدهون غير الصحية والسكريات والسعرات الحرارية، لكنّها تفتقر إلى العناصر

الغذائية الأساسية. ويمكن أن تؤدّي هذه المكوّنات إلى:
- تقلّبات في مستويات السكر في الدم، ممّا يسبّب تغيّرات مزاجية وقلقاً.
- نقص العناصر الغذائية الضرورية، مثل أوميغا-3، المغنيسيوم وفيتامينات (ب)، التي تدعم صحة الدماغ.
- تعزيز الالتهابات المزمنة المرتبطة بالاكتئاب.
كيف نحمي أنفسنا؟
للحَدّ من التأثير السلبي للوجبات السريعة، يُنصح باتباع نظام غذائي صحي يتضمن:
- الأطعمة الغنية بأوميغا-3، مثل الأسماك الدهنية والمكسرات.
- الخضروات الورقية، كالسبانخ واللفت، لتعزيز صحة الجهاز العصبي.
- البقوليات، مثل العدس والحمص، الغنية بالفيتامينات والمعادن.
- الشوكولاتة الداكنة بكميات معتدلة لتحفيز هرمونات السعادة.
استراتيجيات لتحسين الصحة العامة
تقليل تناول الوجبات السريعة واستبدالها بوجبات منزلية صحية يُحسن الصحة العامة. ويمكن التركيز على الدهون الصحية (زيت الزيتون) والبروتينات الخالية من الدهون (الدجاج المشوي والأسماك). بالإضافة إلى ذلك، يُوصى بممارسة التمارين الرياضية لتحفيز هرمونات السعادة وتحسين الحالة المزاجية.

اخبار الرابطة

- **رابطة اصدقاء كمال جنبلاط تهنئ اللبنانيين بانتخاب العماد جوزاف عون رئيساً للجمهورية**

بيروت في 11 كانون الثاني 2025

رابطة أصدقاء كمال جنبلاط تهنئ اللبنانيين ببوادر قيامة لبنان الوطن
بانتخاب العماد جوزيف عون رئيساً للجمهورية

فخامة الرئيس جوزيف عون لكم من رابطة أصدقاء كمال جنبلاط أجمل آيات التهنئة والتقدير على انتخابكم رئيسا للبنان. فخطاب القسم الذي تعهدتم من خلاله نقل لبنان من وضع اللادولة الى وضع الدولة العادلة والقادرة والمحترمة قد يكون هو الأهم منذ مطلع الاستقلال لأنه صادر عن رئيس تتوفر فيه كل صفات رجل الدولة . تعهداتكم التي شكلت برنامج عمل عهدكم أعادت الأمل للبنانيين بأنكم القائد القادر والمصمم على إخراج لبنان من معاناته التي طال أمدها وأوصلته إلى حافة الانهيار ومخاطر الزوال. كان الله بعونكم، فالمهمة ليست سهلة والطريق إلى النجاح مزروعة بالأفخاخ ولكن الجميع يتوسمون منكم صفات القائد الصابر والقادر. نأمل من أجواء التفاؤل التي واكبت انتخابكم أن تستمر وتساعد في تشكيل حكومة منسجمة تتوفر في أعضائها الكفاءة والنزاهة والإخلاص للبنان والرغبة في التعاون معكم، تتبنى في برنامج عملها

مشروعكم الإنقاذي وتحوله إلى خطة عمل وتتعهد تنفيذها بشفافية بعد إعادة تفعيل المؤسسات والإدارات وأجهزة الرقابة والمحاسبة والمحاكمة ليصار إلى تنفيذ قانون الإثراء غير المشروع لقطع دابر الفساد المستشري واستعادة الأموال المنهوبة والسيادة المسلوبة.

فخامة الرئيس... أنتم الأمل ، فإلى الأمام والعمل لإنقاذ لبنان الوطن السيد المستقل ودولة العدالة والمساواة والاتحاد المتوازن.

عباس خلف

رئيس رابطة أصدقاء كمال جنبلاط

- **اجتماع الهيئة الادارية للرابطة**

بيروت في 20 كانون الثاني 2025

<u>محضر إجتماع الهيئة الإدارية لرابطة أصدقاء كمال جنبلاط</u>

بناء لدعوة موجّهة حسب الأصول، ترأس الأستاذ عباس خلف عند الساعة الحادية عشرة من قبل ظهر يوم الخميس الموافق 2025/01/16 إجتماع الهيئة الإدارية للرابطة. وقد شارك في الإجتماع الأعضاء: غادة جنبلاط، سعيد الغز، طارق ذبيان، نسيب غبريل (عبر زوم)، والمستشارة الثقافية الدكتورة عايدة خدّاج أبو فرّاج.

اطّلع المجتمعون وناقشوا الأمور المدرجة على جدول الأعمال:

1. التقرير السنوي عمّا أنجزته الرابطة من نشاطات خلال العام 2024 ، وبرنامج العمل المقترح إنجازه خلال العام 2025 ن وتمت الموافقة في الإجماع على مضمونه.
2. التقرير المالي وميزانة العام 2024، ومشروع الموازنة المقترحة للعام 2025. وبعد الموافقة على مضمونها، تقرّر رفعها للهيئة العامة للرابطة لإتخاذ ما يلزم من قرارات بشأنها.

3. ايجاد مركز جديد للرابطة يتيح لها ممارسة النشاطات المنوي تنفيذها مستقبلا. وبعد المناقشة والتشاور ، تم التوافق على ان يجري البحث عن مكان مناسب في مدينة بيروت العاصمة بالكلفة المناسبة للرابطة.

4. الأوضاع المالية للرابطة وما يجب القيام به لتأمين موارد إضافية كافية لتأمين الرابطة من إستئجار المكان وتغطية كافة النشاطات الموجب القيام بها. وقد شدّد رئس الهيئة على الأهمية المطلقة لهذا الأمر لضمان القدرة على الإستمرار، وأوكل الأستاذة غادة جنبلاط والأستاذ طلال جابر، مواصلة السعي لتأمين المطلوب.

5. تنظيم لقاء فكري حول كتاب الرابطة: "كمال جنبلاط: رائد الإصلاح الشامل في لبنان" خلال شهر آذار بمناسبة ذكرى إستشهاد المعلّم كمال جنبلاط. تم التوافق على أن يتم ذلك في منطقة عاليه، على ان يولى الأعضاء: غادة جنبلاط وطلال جابر وعايدة خدّاج أبو فرّاج تحديد المكان الأنسب والتاريخ المناسب بالتواصل مع مسؤولي الحزب التقدّمي الإشتراكي، وضرورة التحضير لإنتخاب هيئة إداريّة جديدة قبل 14 نيسان القادم.

عباس خلف

رئيس الهيئة الإدارية

- **اجتماع الهيئة العامة للرابطة**

بيروت في 20 كانون الثاني 2025

محضر إجتماع الهيئة العامة لرابطة أصدقاء كمال جنبلاط

بناء لدعوة موجّهة حسب الأصول، ترأس الأستاذ عباس خلف عند الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم الخميس الموافق 2025/01/16 الجلسة الثانية للهيئة العامة بحضور 12 عضوا ، والتي اعتبرت شرعية بعد تعذّر عقد الجلسة الأولى لعدم إكتمال النصاب.

اطّلع المجتمعون وناقشوا الأمور الواردة في جدول الأعمال:

1. التقرير السنوي عمّا أنجزته الرابطة من نشاطات خلال العام 2024 ، وبرنامج العمل المقترح إنجازه خلال العام 2025، وقد تمت الموافقة في الإجماع على مضمونه.

2. التقرير المالي وميزانة العام 2024، ومشروع الموازنة المقترحة للعام 2025. وبعد الإطلاع ومناقشة، تقرّر قطع حساب ميزانية العام 2024، وتبرئة ذمة الهيئة الإدارية، والموافقة على موازنة العام 2025، كما وردت في الإقتراح.

3. دراسة الأوضاع المالية للرابطة وما يجب القيام به من جهد لتأمين موارد مالية إضافية تحتاج اليها الرابطة لإستئجار مركز جديد في بيروت، والإتفاق على ما ستقوم به من نشاطات. وشدّد رئيس الهيئة على ضرورة التزام الجميع القيام بما يجب، لضمان تأمين هذه الموارد التي بدونها لا تستطيع الرابطة أن تستمرّ.

4. تنظيم لقاء فكري حول كتاب الرابطة: "كمال جنبلاط: رائد الإصلاح الشامل في لبنان" خلال شهر آذار القادم، بمناسبة ذكرى إستشهاد المعلّم كمال جنبلاط، والعمل المطلوب من الجميع لإنجاح اللقاء، الذي سيعلن لاحقا عن مكان وموعد تنظيمه في منطقة عاليه.

5. ضرورة التحضير لإنتخاب هيئة ادارية جديدة للرابطة قبل 12 نيسان القادم.

عباس خلف

رئيس الهيئة الإدارية

- **من الصحافة اخترنا لكم:**

- **إيران بين «طوفان» السنوار و«طوفان» الشرع – غسان شربل – جريدة الشرق الاوسط – 2025/1/6**

لشهر يناير (كانون الثاني) رنّة مؤلمة في طهران. لا تستطيع أن تنسى ما حدث في الثالث منه في 2020. رجل بعيد أسقط ما كانت تعده خطاً أحمر. قُتل قاسم سليماني على مقربة من مطار بغداد. قُتل قائد «فيلق القدس». مهندس «استراتيجية الأذرع» ومشروع «الضربة الكبرى» ضد إسرائيل.
لا تستطيع طهران في الشهر الحالي إلا أن تنظر بقلق وتوجس إلى العشرين منه. ففي هذا اليوم سيسقط البيت الأبيض مرة أخرى في يد الرجل الذي أمر بقتل سليماني. الرجل الذي انسحب من الاتفاق النووي وجفَّف عروق الاقتصاد الإيراني.
وكان يمكن اعتبار آلام الشهر محتملة لولا المرارات التي خلّفها الشهر الرهيب السابق. رجل اسمه بشار الأسد كانت إيران قد ألقت بكل ثقلها لإبقائه. رجل نجح سليماني في إقناع فلاديمير بوتين بالتدخل لإنقاذه من «طوفان» معارضيه وهذا ما حصل. مدد التدخل الإيراني - الروسي عمر نظام الأسد، لكن «السيد الرئيس» اختار النجاة بنفسه من «الطوفان» الذي أطلقه من إدلب رجل اسمه أحمد الشرع.

صعد بشار إلى طائرة المنفى من دون أن تراوده رغبة المعاندة على الحلبة. المعاندة التي أنهت معمر القذافي وعلي عبد الله صالح. غادر من دون البراعة في رسم المشهد الأخير التي أجادها «الرفيق» البعثي صدام حسين.

توَّج فرار الأسد سنة الشهور المؤلمة لإيران التي شملت اغتيال حسن نصر الله ويحيى السنوار، فضلاً عن اغتيال إسماعيل هنية في ضيافة «الحرس الثوري» في طهران. ردَّ بنيامين نتنياهو على السنوار ونصر الله بـ«طوفان» من النار أنهك غزة ولبنان ولم يرحم «المستشارين» الإيرانيين في سوريا، مما جعل نظام الأسد يسقط كثمرة ناضجة.

في مكتبه في طهران يقلّب مسعود بزشكيان الأوراق والأيام. حظه سيئ. جاءته الرئاسة في زمن الطوفانات. كان الرجل يحلم بفتح النوافذ ولو تدريجياً وعلى استحياء. وبإبرام هدنات طويلة إذا تعذّر إنهاء الحروب. زيادة الاهتمام بالاقتصاد وصعوبات المعيشة لاسترجاع شرائح واسعة من خيبات تكررت. تصاعُد الهدير في الإقليم مُقلق ولا يسمح بالتقاط الأنفاس. صحيحٌ أن ملف سوريا والأذرع لم يكن يوماً من مسؤولية الرئيس. إنه من مسؤولية جنرالات «الحرس» و«فيلق القدس» وتحت رقابة المرشد. لكنَّ الصحيح أيضاً هو أن الاستحقاقات داهمة.

لا بد من القراءة، وهي صعبة كالاستنتاجات. يعرف بزشكيان أن «حماس» قاتلت بشراسة، لكنه يعرف أيضاً أن غزة ستخرج من الشق العسكري في النزاع لتنشغل بإعادة الإعمار وتضميد الجروح. إطلاق المعتقلين الفلسطينيين في أي صفقة لا يُلغي أن غزة قد دُمِّرت ودفعت ثمناً إنسانياً باهظاً.

يتمشى في مكتبه. في القرى الحدودية قاتل «حزب الله» اللبناني بشراسة ودفع ثمناً مرتفعاً. هذا لا يُلغي أنه أُصيب في الحرب بخسارتين هائلتين؛ خسارة قائده حسن نصر الله التي يصعب عليه تعويضها، وخسارة العمق السوري الذي لا تسمح الجغرافيا بتعويضه. من دون العمق السوري لا يستطيع الحزب أن يخوض حرباً ضد إسرائيل، خصوصاً بعدما أبرزت الحرب الهوّة التكنولوجية الهائلة بينه وبين إسرائيل. خيارات الحزب صعبة. الحدود اللبنانية - الإسرائيلية تحت رقابة القرار 1701 وجنرال أميركي، وطريق سليماني بين طهران وبيروت أُغلقت بإحكام.

كانت المفاجأة السورية أكبر من القدرة على الاحتمال. تشظى «محور الممانعة». وسمعت دول عدة كلاماً صارماً في الآونة الأخيرة: «لا بد من إنهاء زمن الفصائل والجيوش الموازية». «على الفصائل العودة إلى خرائطها. لا يحق لها إرسال صواريخها ومُسيَّراتها في مهمات إقليمية». «السلاح يجب أن يكون في عهدة الدولة وحدها. لا يجوز صرف رواتب من الخزينة لفصائل متهمة بأدوار إرهابية». العراق لا يريد أن يكون ساحة حرب. وصواريخ «الحوثي» لن تعوّض صمت الأذرع الأخرى.

كان العقاب شديداً. الآلة الإسرائيلية تهدد إيران نفسها، وأميركا ليست بعيدة. تشترط أميركا لقبول إيران أن تكون بلا أذرع إقليمية وبلا قنبلة نووية. هذه أصعب أيام البلاد وأصعب أيام المرشد.

يقلّب بزشكيان جمر المشاهد السورية. واضح أن دمشق ستغرف من قاموس آخر. يوزع الشرع على زواره تعابير الطمأنة. يوحي بأن ما حدث مجرد تغيير داخل الخريطة وليس مشروع «طوفان». سقطت الحلقة السورية من سبحة الممانعة فانفرط عقدها. يحاول الزوار التكهن بما يدور في رأس الشرع. ها هو يستهلّ عهده بمطالبة الفصائل بالذوبان في وزارة الدفاع. هل سيحاول اقتباس النموذج التركي أم أن الأمواج ستتدافع في اتجاه نموذج صعب؟ الأكيد أن الزوار لم يذرفوا دمعة على إخراج إيران من الخريطة السورية.

استعادة سوريا إلى «محور الممانعة» شديدة الصعوبة في المدى المنظور. هذه المهمة أكبر من قدرات «الحشد» العراقي و«حزب الله» اللبناني ومحفوفة بالأخطار. تهاجمه الأسئلة. هل على إيران تغيير مقاربتها لشؤون الإقليم والاكتفاء بدور أقل؟ هل تعب بوتين من عناد الأسد فتركه لمصيره؟ هل قرر سلطان إسطنبول معاقبة والي دمشق لرفضه المتكرر أن يصافحه؟ اتهم المرشد علي خامنئي إسرائيل وأميركا بالوقوف وراء ما جرى في دمشق. قال أيضاً إن «إحدى الدول المجاورة لسوريا كان لها دور»، في إشارة إلى تركيا.

ما أصعب الشرق الأوسط. أرض فِخاخ ومشقّات ومفاجآت. يعرف بزشكيان الرنّة المؤلمة لهذا الشهر في طهران. تُضاعف قسوة المشهد شهور مرارات كثيرة مرت بين «طوفان» السنوار و«طوفان» الشرع.

- **الديمقراطية الغربية تحت معاول «السوشيال ميديا» - د. ياسر عبد العزيز – جريدة الشرق الاوسط – 2025/1/6**

في شهر سبتمبر (أيلول) 2020، صدر إعلان مفاجئ ومثير للجدل عن الكرملين؛ وفي هذا الإعلان عرض الرئيس الروسي فلاديمير بوتين على دول العالم كافة عقد «اتفاق دولي تلتزم فيه الحكومات سياسياً بعدم توجيه ضربات تستخدم تكنولوجيا المعلومات والتواصل ضد دول أخرى»، بشكل يؤثر في نتائج الانتخابات.

لقد لاقى هذا الإعلان اهتماماً لافتاً آنذاك؛ إذ صدر في وقت تزايد فيه القلق من احتمالات التدخل «سيبرانياً» لحرف اتجاهات الرأي العام الأميركي، عشية الانتخابات الرئاسية، التي تنافس فيها الرئيس الحالي جو بايدن مع دونالد ترمب، وفاز فيها الأول، بعد صدامات واعتراضات نادرة في تاريخ الديمقراطية الأميركية.

لقد أراد بوتين، عبر هذا الإعلان، أن يتم تبادل ضمانات بعدم التدخل في الانتخابات، من خلال اتفاق أممي ضد الاستخدام العدائي للتكنولوجيا، بوصفه إحدى أخطر آليات التضاغط الدولي الراهنة وأكثرها نفاذاً وتأثيراً.

وبموازاة ذلك الإعلان المثير للاهتمام، كانت منظمة «فريدوم هاوس»، المعنية بدراسات الحريات والديمقراطية، تصدر تقريراً بدورها، تحذر فيه من أن الاستمرار في سياسات التدخل في العمليات الانتخابية، عبر الشبكات الاجتماعية خصوصاً، «بات استراتيجية أساسية لأولئك الذين يسعون إلى تقويض الديمقراطية». وفي هذا التقرير بالذات رصدت المنظمة ما قالت إنه «تدخلات مشبوهة تعتمد آليات تضليل حدثت في 26 عملية انتخابية من بين 30 عملية تمت دراستها في مناطق العالم المختلفة». ويعني هذا التقرير ببساطة أن نحو 90 في المائة من الانتخابات التي تجري في بلدان العالم المختلفة أضحت عرضة للعمليات السيبرانية المُغرضة؛ بما يمثل إعلاناً واضحاً عن هشاشة الحالة الديمقراطية، وقابلية الانتخابات السياسية الكبيرة للتأثر بالتدخلات «المشبوهة» أو «غير المشبوهة» التي ترد عبر الفضاء السيبراني.

لا يحتاج الإقرار بتأثير وسائل «التواصل الاجتماعي» في العمليات السياسية والانتخابات تحديداً لكثير من الجهد؛ إذ تشير البحوث الموثوقة، والتحليلات الجادة لمجريات العمليات الانتخابية في دول العالم المختلفة، إلى أن أثر تلك الوسائل بات واضحاً بما يكفي في تحديد الاتجاهات والنتائج، وحاسماً أيضاً في بعض الأحيان.

سيأتي الرئيس ترمب، الذي فاز بالرئاسة في انتخابات 2016، ليؤكد لنا ذلك، عبر قوله: «لولا (تويتر) ما أصبحت رئيساً»، كما سيؤكد ماركوس شميت، مسؤول الاتصال في حزب «البديل من أجل ألمانيا»، أن «فيسبوك» كان رافعة رئيسة لدفع الحزب المُتهم بالتطرف إلى التمركز في الواقع السياسي في ألمانيا، ثم المنافسة على الصدارة.

لقد تلقت روسيا اتهامات عديدة بـ«التدخل السافر» في نتائج بعض الانتخابات والاستحقاقات السياسية الرئيسة في عدد من البلدان؛ ومن بين أهم تلك الاتهامات ما يتعلق بتدخلات أمكن رصد بعض أثرها في الانتخابات الرئاسية الأميركية في 2016، والانتخابات الرئاسية الفرنسية 2017، واستفتاء «بريكست» في المملكة المتحدة، وبعض الأحداث السياسية المهمة في بلدان أوروبية، وبخاصة تلك الأحداث التي تتصل بالمد اليميني الشعبوي.

لكن كل ما فعله بوتين، أو نُسب إليه فعله، في هذا الصدد، سيبدو خجولاً وضعيف التأثير، إذا ما تمت مقارنته بما يفعله الملياردير الأميركي إيلون ماسك اليوم في هذا الإطار.

فإيلون ماسك لم يكتفِ بشراء «تويتر»، وتحويله إلى «إكس»، فقط، لكنه أيضاً حول تلك المنصة المُهمة إلى آلية فعالة لنصرة دونالد ترمب في الانتخابات الرئاسية الأخيرة، بينما أدرك هذا الأخير نفسه ضرورة أن يطور منصته الخاصة «تروث سوشيال»، لكي يقبض على «عصمته الاتصالية»، ويمتلك صوتاً قادراً ونافذاً وفعالاً طوال الوقت.

لم يكتفِ ماسك بذلك، حتى بعدما حصد أرباح شراء «تويتر» («إكس» لاحقاً)، بأن بات أحد أركان إدارة ترمب، وأقرب المستشارين إليه، وأكثرهم نفوذاً، ولكنه راح يُفعّل خطته في أرجاء أوروبا أيضاً، فمدّ حبل تأثيره إلى ألمانيا وبريطانيا وإيطاليا، والحبل على الجرار. يتحول ماسك، بمنصته «السوشيالية» النافذة،

وقدراته المالية والتكنولوجية الضخمة، وموقعه السياسي المؤثر، إلى فاعل سياسي عالمي، تتضاءل أمامه مقدرات بوتين، وتنزوي «ألاعيبه» وتدخلاته المفترضة.

واليوم، يثير ماسك ضجة وقلقاً في ألمانيا، بعدما تدخل بسفور لنصرة حزب «البديل»، ودعا إلى التصويت من أجله في الانتخابات التشريعية المنتظرة، باعتباره «الوحيد القادر على إنقاذ البلاد.«

وبموازاة ذلك، يحافظ على علاقة وثيقة مع رئيسة الوزراء الإيطالية جورجيا ميلوني، وحزبها اليميني، عبر التدخل بدعم خطها المحافظ بـ«التغريدات» الحادة، بينما يعد مرشح اليمين الشعبوي البريطاني نايجل فاراج بتبرعات تصل إلى 100 مليون دولار أميركي، في حملته الانتخابية، قبل أن يعود ويسحب دعمه له.

إنه عصر جديد، تصبح «السوشيال ميديا» فيه لاعباً رئيساً في تحديد مسار الحملات الانتخابية ونتائجها؛ وهو أمر سيحدث عبر أوروبا وأميركا، بـ«تغريدات» وتمويلات، ستشكل ملامح السياسة الغربية، وتقودها إلى آفاق جديدة، قد تغيّر وجه الديمقراطية في معاقلها الأساسية.

- التغول الإسرائيلي والمعادلات الجـديدة في الشرق الأوسط - أيمن النحراوي- جريدة الشروق – 2024/12/29

لم يرد عام 2024 أن ينقضى دون أن يطرح على منطقة الشرق الأوسط وقائع ومتغيرات ومعادلات جديدة، كان أبرزها على الساحة السورية تولى نظام حكم جديد محل النظام المنقضى الذى رحل بسياساته وتحالفاته، تاركًا دولة مثل سورية فى تقاطع طرق حرج بظروفها وموضعها الجيوسياسى الصعب.

· • •

للأسف فقد استغلت إسرائيل الأحداث فى سورية بأقصى درجة من الخباثة والغدر، وفى ذات اليوم والساعة التى دخلت فيها قوات المعارضة المسلحة إلى دمشق، قامت القوات الإسرائيلية باحتلال المنطقة العازلة لمرتفعات الجولان السورية، مستولية على 365 كم2 منها ومحكمة السيطرة بذلك على جبل الشيخ.

حققت إسرائيل بفعلتها هذه مكسبًا استراتيجيًا بالغًا فالسيطرة على قمة جبل الشيخ تحقق لها أفضلية استراتيجية للاستطلاع والرصد الرادارى والنيرانى على ريف دمشق والقنيطرة ودرعا، وتكون بذلك قد

وضعت العاصمة دمشق تحت السيطرة النيرانية الإسرائيلية، وبما يضع القوات الإسرائيلية على مسافة نصف ساعة من قلب دمشق.

من جهة أخرى وباعتبار أن جبل الشيخ هو المنبع الرئيسى لنهر الأردن فإن إسرائيل بذلك تكون قد أحكمت قبضتها على منابع نهر الأردن، لتحقق خطوة كبرى فى استراتيجيتها المائية، والتى تتضمن أيضًا التحكم فى منابع نهر اليرموك والسيطرة عليها، والخطط الإسرائيلية جاهزة ومعدة سلفًا لكنها فقط تنتظر اللحظة المناسبة للتنفيذ.

خروج رئيس وزراء الكيان الصهيونى ليعلن أن هضبة الجولان السورية ستظل إسرائيلية إلى الأبد، وتواصل استيلاء القوات الاسرائيلية يومًا بعد يوم على المزيد من البلدات والقرى السورية فى الجولان والقنيطرة، قابله التنديد البيانى المعتاد من الحكومات العربية بعد كل عدوان إسرائيلى، وغياب أى رد فعل أو تحرك عربى فعال يجعل إسرائيل تتراجع عما أقدمت عليه، وهذا ما قدرته الحسابات الإسرائيلية فباتت تفعل ما تفعل.

استيلاء إسرائيل بالكامل على هضبة الجولان السورية، جاء بمباركة أمريكية مسبقة جاءت فى عهد الرئيس ترامب باعترافه بضم إسرائيل للجولان أثناء فترة رئاسته الأولى، وها هو ترامب سيعود فى يناير القادم بالمزيد من التأييد والدعم للأطماع الإسرائيلية، مع احتمال مؤكد بإعادته طرح خطة القرن بشكل جديد يتفق مع الوقائع الجديدة التى فرضتها إسرائيل.

وما يضيف إلى هول المأساة السورية، هو قيام القوات الجوية الإسرائيلية منذ 8 ديسمبر الجارى وإلى اليوم باستهداف وتدمير أكثر من 600 هدف استراتيجى وعسكرى فى كافة أنحاء سورية، لتقضى على البقية الباقية من قدرات الجيش السورى ومنشآته وقواعده، فى عدوان غاشم تجاوز بمراحل عدوان 5 يونيو 1967.

لذلك يبدو أن الوضع المتردى الراهن فى المنطقة وضع إسرائيل فى حالة من غطرسة القوة، ومن المؤكد أنها ستدفعها فى قادم الأيام للتحرك نحو المزيد من العدوان والتغــول فى المنطقة.

• • •

فى لبنان ورغم الهدنة الهشة، لا يجب نسيان أن الكيان الصهيونى المعتدى دوما على لبنان والمنتهك لسيادته ما زال يحتل 13 منطقة داخل لبنان بعد الخط الأزرق مساحتها الإجمالية 485 كم2 وأنه ارتكب اعتداءات وخروقات لسيادة لبنان بلغت أكثر من 32 ألف اعتداء واختراق وغارة منذ عام 2006.

وبعد انقطاع حلقات سلسلة محور المقاومة بعد خروج سوريا من المعادلة، وقبلها كان تمكن إسرائيل من اغتيال الصف الأول من قادة حزب الله وتدمير 75% من قدراته، لا نستبعد قيام إسرائيل فى المرحلة القادمة بتدبير أى ذريعة لاجتياح جنوب لبنان بالكامل والاستيلاء على كامل الأراضى اللبنانية جنوب نهر الليطانى بأراضيها الخصبة ومصادر مياهها الوافـرة والتى كانت على الدوام مطمعا لها.

عسكريا، سيتيح ذلك لإسرائيل عدم تمكين حزب الله من استخدام صواريخ قادر وفاتح والمسيرات الجوية التى تفوقت على منظومة القبة الحديدية، وبذلك سيتم إخراج تلك الصواريخ عن مدى رمايتها وإبطال دورها وفاعليتها القتالية فى أى مواجهة قادمة لإسرائيل ضد حزب الله، فتكون بذلك قد أقامت منطقة عازلة لتأمين مستعمراتها فى شمال فلسطين.

• • •

فى الضفة الغربية والقدس المحتلة، حيث تقوم اسرائيل يوميا بتمزيق أوصال الأراضى الفلسطينية وتعزيز الاستيطان الصهيونى فيها، ومع توقع شبه مؤكد بإعلان إسرائيل عن ضم الضفة الغربية بمجرد استلام الرئيس ترامب الحكم فى الولايات المتحدة، يتوقع قيامها بعد ذلك بعمليات مداهمة وهجمات وحشية على المدن والبلدات الفلسطينية بحجة اجتثاث ما تطلق عليه الجماعات الإرهابية.

فى ظل المقاومة الفلسطينية المتوقعة واشتعال الموقف يتوقع أن تقوم إسرائيل بتنفيذ ضربات عسكرية وحشية واجتياح شامل يقوم على أثره فلسطينيو الضفة الغربية بالنزوح شرقا إلى الأردن للفرار بأرواحهم، ولن يكون أمام الأردن سوى الرضوخ للأمر الواقع واستقبالهم، فتكون خطة إخلاء الضفة الغربية قد وضعت موضع التنفيذ.

أما قطاع غــزة، فتقوم إسرائيل الآن بتقطيع أوصاله وتدمير كل مقدرات الحياة فيه، باعتبار أن تنفيذ سيناريو تهجير الفلسطينيين والفلسطينيات منه إلى سيناء قد يؤدى للدخول بها فى صدام خطير لا لزوم له فى الوقت الراهن مع مصر.

• • •

هذه السيناريوهات المحتملة إذا حدث أى منها فقد تؤدى إلى اشتعال الشرق الأوسط بأكمله، فالدول العربية التى قدمت كل ما فى وسعها من أجل حل عادل ومشرف للقضية الفلسطينية، واتخذت من السلام اختيارا استراتيجيا، باتت اليوم تدرك أن الطرف الآخر يسير فى الاتجاه المعاكس، ويضرب أى أمل لتحقق ذلك السلام فى مقتل.

وما حدث من قصف وحشى على العــزل المدنيين فى قطاع غــزة واستشهاد 45 ألف وجرح وإصابة قرابة ربع مليون فلسطينى وفلسطينية، وقصف واحتلال الأراضى السورية واللبنانية، جعل الشعوب العربية تتأكد من حقيقة إسرائيل الدموية، وبأنها كيان صهيونى عدوانى توسعى.

ومن جهة أخرى فما تقوم به إسرائيل بات محل اشمئزاز شديد من كل الحكومات العربية، أما الشعوب العربية فهى فى حالة عارمة من الغضب من الجرائم الإسرائيلية التى تجاوزت كل الحدود فى الوحشية والعدوانية تجاه فلسطين ولبنان وسوريا.

على إسرائيل أن تدرك أنها لن تفوز بما فعلت وتفعل، فلا سلام سيتحقق لإسرائيل دون إعادة حقوق الشعب الفلسطينى، ولا سلام دون إعادة الجولان لسوريا، ولا سلام دون إعادة الأراضى اللبنانية.

الصبر العربى على جرائم إسرائيل يكاد ينفد، وعلى إسرائيل إدراك أن الحكومات العربية ستكون مضطرة للجوء إلى بدائل واختيارات أخرى، ووقتها سيكون لكل حدث حديث.

- **لبنان يسير نحو السيادة الموعودة - ديفيد شينكر – جريدة الشرق الاوسط – 2025/1/8**

لقد تحررت سوريا من نظام الأسد، كما أن الحملة العسكرية العنيفة التي شنتها إسرائيل ضد جماعة «حزب الله» حررت لبنان بشكل فعَّال أيضاً، ولكن على عكس دمشق، فإن بيروت لم تستوعب هذا التحرر بعد.

ومن المؤسف أنه إذا لم تغتنم النخبة السياسية في بيروت هذه اللحظة، فإن هذه الفرصة العابرة للبنان ليتحول إلى دولة ذات سيادة ومستقرة ستضيع، وسيكون الاختبار الأول الذي ستواجهه البلاد في التاسع من يناير (كانون الثاني) الحالي، عندما يجتمع نواب البرلمان اللبناني لانتخاب رئيس جديد للبلاد، وهو المنصب الشاغر منذ أكتوبر (تشرين الأول) 2022.

وعلى مدى السنوات الخمسين الماضية، كان لبنان نموذجاً للخلل الوظيفي، فمنذ عام 1975، عانت بيروت من حرب أهلية استمرت لمدة 15 عاماً أشعلها إرهابيون فلسطينيون، واحتلال عسكري وحشي من قبل نظام الأسد السوري، فضلاً عن التوغلات والغزوات المتكررة من قبل إسرائيل، كما أنه بعد انسحاب سوريا في عام 2005، عانى لبنان أيضاً لما يقرب من عقدين من الاحتلال الإيراني من خلال وكيل طهران هناك (حزب الله)، الذي كان يروع ويقتل معارضيه المحليين بشكل روتيني.

لكن العديد من مشاكل لبنان كانت ناتجة عن أفعاله الخاصة، إذ وصف برلمان الاتحاد الأوروبي الأزمة المالية المستمرة في بيروت بأنها «كارثة من صُنع الإنسان تسببت فيها مجموعة من الرجال في مختلف أنحاء الطبقة السياسية في البلاد.«

وقد تجاهلت الحكومات اللبنانية المتعاقبة التخزين الإجرامي لنحو 3 آلاف طن من نترات الأمونيوم في مرفأ بيروت، وهو ما تسبب في الانفجار الهائل والمميت الذي شهدته البلاد في أغسطس (آب) 2020، وعندما انتهى الاحتلال السوري للبلاد، فإنه بدلاً من تعزيز هذا النصر، دخل العديد من السياسيين اللبنانيين الذين يُفترض أنهم موالون للغرب في تحالف انتخابي مع «حزب الله»، مما عزز الأخير على المستوى السياسي.

إن المشكلة الكبرى التي يواجهها لبنان اليوم تتمثل في القيادة، وذلك لأن معظم النخب السياسية في البلاد، المعروفة باسم «الزعماء»، تستفيد من الوضع الراهن ولا ترحب بالتغيير، فهم في الواقع معروفون بالفساد وضيق الأفق والطائفية.

وعلى الرغم من سجلهم المروّع في الحكم وتجاهلهم الدائم لرفاهية الشعب اللبناني، فقد أُتيحت لهؤلاء السياسيين فرصة العمر الآن لتغيير الوضع الراهن وإنهاء هيمنة «حزب الله»، وهذه الفرصة النادرة جاءت على أيدي إسرائيل.

ففي سبتمبر (أيلول) الماضي، وبعد عام من هجمات «حزب الله» بالصواريخ والطائرات من دون طيار، شنّت إسرائيل هجوماً مضاداً، وعلى مدى شهرين، تمكنت تل أبيب من تصفية قيادة الحزب ودمّرت مخزونه الاستراتيجي من الأسلحة والبنية التحتية العسكرية.

كما أدى سقوط نظام بشار الأسد في سوريا، في وقت سابق من شهر ديسمبر (كانون الأول)، إلى تعميق مدى تأثير العمليات الإسرائيلية في لبنان، إذ لم يعد «حزب الله»، الذي ذبح الآلاف من المدنيين أثناء الحرب الأهلية في خدمة الأسد، يستطيع الآن إعادة تسليح نفسه عبر الأراضي السورية.

وقد أعلن «حزب الله» انتصاره على إسرائيل، وهو أمر لم يكن مُرجحاً لكنه كان مُتوقَعاً، إلا أنه من الصعب تفسير التنازلات في اتفاق وقف إطلاق النار الذي تم بوساطة الولايات المتحدة في نوفمبر (تشرين الثاني) على أنها أي شيء آخر سوى استسلام غير مشروط، فـ«حزب الله» لم يكتفِ بالتوقيع على بنود قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم 1701، الذي يقضي بإنهاء وجود الحزب في جنوب لبنان فحسب، بل وافق أيضاً على تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم 1559، الذي ينص على نزع سلاح جميع الميليشيات في مختلف أنحاء لبنان، ورغم أن «حزب الله» لا ينوي بوضوح نزع سلاحه، فإن موافقته الظاهرة على مثل هذه الشروط غير المواتية تنم عن شعوره بالضعف.

ومن الناحية المثالية، فإن وقف إطلاق النار وتراجع مكانة «حزب الله» بإمكانهما تمكين بيروت أخيراً من ممارسة السيادة في الجنوب، ومن ثم في مختلف أنحاء الدولة، ولكن من المؤسف أنه ليس من الواضح ما إذا كان لبنان سيغتنم هذه الفرصة.

فصحيح أن الحكومة تقوم بنشر القوات المسلحة في الجنوب، ولكنها قد تحجم عن توجيه هذه القوات للعمل بشكل استباقي على تفكيك البنية التحتية العسكرية لـ«حزب الله» ومصادرة أسلحته، ومن الصعب تصور مرحلة ثانية من نزع السلاح في الشمال بما يتفق مع قرار مجلس الأمن رقم 1559.

فالقلق الذي يساور الساسة في لبنان الآن هو أن الدخول في مواجهة مع الميليشيات الشيعية قد يؤدي إلى إشعال فتيل الحرب الأهلية مرة أخرى، ولعل الأمر الأكثر أهمية هو خوفهم من أن يستعيد الحزب قوته على الرغم من سقوط الأسد.

فعلى الرغم من أن إسرائيل نجحت في إضعاف «حزب الله» إلى حد كبير، فإنه لا يزال هناك ما يقدر بنحو 15 ألف مقاتل من الحزب مُسلحين ببنادق كلاشينكوف من طراز «47 – AK» وقاذفات «آر بي جي»، وصواريخ «كورنيت» المضادة للدبابات في لبنان، كما أنه بالنظر إلى تاريخ «حزب الله» واسع نطاق و«الدنيء» من الاغتيالات، فإن التهديد لا يزال قائماً.

وعلى الرغم من جميع هذه التحديات، فإن الوقت الحالي يبدو مناسباً بشكل فريد للبنان، وفي الفترة المقبلة، سيكون من الضروري للغاية دعم الزعماء السياسيين في البلاد الذين كانوا يخشون المخاطرة حتى الآن، ففي الأيام المقبلة، سينتخب البرلمان رئيساً جديداً من قائمة متنوّعة من المرشحين، تتراوح بين أولئك الذين يدعمون الوضع الراهن و«حزب الله»، وغيرهم من المدافعين عن الإصلاح والتغيير.

ومن أجل تشجيع القيادة اللبنانية، إن لم يكن إجبارها على اغتنام الفرصة التي أتاحها إضعاف إسرائيل لـ«حزب الله»، فمن المرجح أن تضطر واشنطن إلى ربط مساعداتها الاقتصادية والعسكرية بأداء القوات المسلحة اللبنانية في إنفاذ قرارات الأمم المتحدة، كما أنه قد تكون هناك حاجة إلى فرض عقوبات على السياسيين اللبنانيين المتمردين أيضاً.

»ففي الرواية التوراتية لخروج بني إسرائيل، استغرق الأمر من موسى 40 عاماً ليقود الشعب اليهودي المُحرر من مصر إلى أرض كنعان، ووفقاً لما يُقال بشكل تقليدي، فإنهم احتاجوا هذا الوقت الطويل لقطع مسافة لا تتجاوز 170 ميلاً فقط لأن هؤلاء العبيد السابقين لم يكونوا مستعدين ليكونوا أمة ذات سيادة بعد أكثر من 400 عام من العبودية»، لكن من المؤسف أن لبنان ليس لديه نفس رفاهية الوقت، وفي غياب جهد

فوري ومُنسَّق لاستغلال النكسات التي تعرض لها «حزب الله»، فإن الحزب سيعيد بناء نفسه، ولكن مع الدعم المستمر من جانب واشنطن، وبعض الساسة الشجعان في بيروت، فإن لبنان قد يمكنه أن يصل أخيراً إلى أرض السيادة الموعودة.